المقدمة

إن من أقدس المشاريع وأكبرها، وأجلّها خطرا على مسيرة الأمم والأفراد، هو تكوين ما يسمى بـ (العش الزوجي) الذي يتفرّع عليه-على مدى القرون المتمادية- ترعرع آلاف من الأجيال البشرية التي قد تكون حصيلة زواج واحد، كالمليارات البشرية التي عاشت على وجه الأرض، كبركة للزواج الأول، المتمثل بزواج أبوينا آدم وحواء.. ولطالما اتفق أن أثمر فساد العلاقة بين زوجين محدّدَين-وما يترتب عليها من فساد التربية- انحراف جيل بشرى كامل، أوجبت بعض الكوارث التاريخية، ولطالما سجّل التاريخ بعض تلك الكوارث.

وعليه، فليس من بِدْع القول أن ندعو إلى ضرورة وجود دورات تخصصية-مقروءة أو مسموعة- لمعرفة رموز هذه العلاقة (المقدسة والمعقدة) في آن واحد.. ومن المعلوم أن أسرار اقتران روحين متفاوتين، لا تدرك إلا بالملاحظة الدقيقة، التي قد لا يلتفت إليها الزوجان، إلا بعد فوات الأوان، وفقدان التحكم على سير الأمور، بتفسخ العلاقة بين الزوج والزوجة من جهة، وبينهما وبين الأولاد من جهة أخرى.

وعليه، فلا بد من نقل ثمرات تجارب الخطأ والصواب، وما يستفاد من الروايات والأخبار، لتحكيم أواصر تلك الحياة الكريمة.

فإلى صاحبَي ذلك (العش السعيد) أهدي بعض هذه النقاط:

1. واقع الزواج[1]

الالتفات إلى أن واقع الزواج، هو التزاوج بين النفوس، لا الأبدان فحسب.. فإن الآية الكريمة تفيد أن الغاية هي السكون، وأن المجعول هي المودة والرحمة، ولم تتطرق للعلاقة البدنية بشكل مباشر، وإن كان إشباع الجانب الغريزي من موجبات السكون أيضا.

ومن هنا يُعلم أن التزاوج النفسي، يحتاج إلى بلوغ خاص، وأن عدم الوصول إلى مرحلة الرشد والبلوغ النفسي في هذا المجال، قد يكون من موجبات انتكاس الحياة الزوجية، حتى عند الالتزام ببعض الظواهر الشرعية.. إذ أن الالتزام الشرعي التقليدي، قد لا يلازم حتما مرحلة الرشد والوعي لمفردات الحياة الزوجية.. وقد أفردت كتب الحديث أبوابا واسعة لقيمة العقل (الذي يمثل رصيد الرشد والبلوغ) في قرب الإنسان من الحق المتعال، بل نجاحه في حياته الدنيا والأخرى.

---

[1] واقع الزواج

إن هذه دورة جديدة من الوصايا، وسنتناول فيها-إن شاء الله تعالى- أهم النقاط المتعلقة بعالم الحياة الزوجية، بعنوان (البنيان المقدس)، بعد أن فرغنا فيما مضى-بحمد الله تعالى- من الوصايا الأربعين في مجال التهذيب الأنفسي.. وستكون هذه الدورة كذلك-إن شاء الله تعالى- أربعين وصية، في أربعين حلقة؛ عدد الأربعون عدد مبارك، وهو العدد الذي واعد الله تعالى به موسى (ع). وإن هذه الوصايا الأربعين في عالم التكامل الزوجي، مكملة للوصايا الأربعين التي ذكرناها في عالم التكامل الأنفسي.

س1/ إن من الملاحظ في آية الزوجية، التركيز على أن المودة والرحمة، هما أساس الحياة الزوجية.. فلم التأكيد على هذين العنصرين من بين كل العناصر؟..

إن الحديث عن إصلاح الحياة الزوجية، لمن أهم أنواع الحديث بعد ترتيب العلاقة مع رب العالمين.. لأن الإنسان الموزع، الذي ليس له سكن في المنزل، وليس له استقرار، يواجه بعض العقبات حتى في مجال الترقي الروحي.. فالمؤمن يحتاج إلى جو هادئ في المنزل، وإلى سكن وإلى راحة باطنية؛ تخفف عليه أعباء العمل ومشاغل الحياة.. وإن الحياة الزوجية السعيدة، هي التي تؤمن للإنسان هذه الحالة من الاستقرار داخل المنزل.

قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً}.. والملاحظ أن الآية فيها إشارتان:

الأولى: أن الحياة الزوجية آية من آيات الله تعالى:

إن الله تعالى آيات في الآفاق وفي الأنفس، الدالة عليه.. وفي سورة الروم ذكر آية الزوجية، وذكر أيضا بعض آياته الآفاقية، مما يجري في هذا الوجود: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ}، {وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مَاء فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا}.

الثانية: أساس السعادة في الحياة الزوجية:

إن الملاحظ أن الآية لم تذكر الجانب الغريزي، رغم أنه الجانب الأهم عند عامة الناس، وخاصة الشباب، فلو وصلنا إلى سويداء قلوبهم، لرأينا أن هذا هو العنصر الدافع لهم.. ولكن الآية تشير إلى السكون، وهو أمر قلبي لا يمكن أن يكون تحققه إلا في القلب، وليس في البيت والأثاث، وليس في الطعام، وليس في السياحة وغيره، وكذلك المودة والرحمة فهما أمران قلبيان.. وكأن الآية تشير إلى أن الذي يشكل أساس الحياة الزوجية، هو هذه العناصر الثلاثة: السكون، والمودة، والرحمة.

ومن الممكن أن يقال–والله العالم– أن هذا السكون، هو نتيجة المودة والرحمة، فإذا وجدت المودة والرحمة، ووجد هذا التجاذب بين الزوجين، فإن النتيجة هي السكون.. ولهذا فإن الذي يسعى للمال والجمال، بدلا من المودة والرحمة، فإنه لا يصل إلى هذه الحالة من السكون، كما نلاحظ عند المترفين والمترفات عندما يتم بينهما الاقتران، إذ لا نرى هذا السكون.. لأن المودة والرحمة التي جعلها الله تعالى، لم تتحقق فيما بينهما، أو أنها تحققت، ولكنهما بسوء فعلهما، رفعا هذه المودة والرحمة.

س2/ ذكر في الوصية أن الحياة الزوجية تحتاج إلى رشد خاص، وإلى بلوغ روحي، غير البلوغ البدني، فما المراد من ذلك؟..

إن هناك بلوغ بدني لكل من الرجل والمرأة، والذي له أثر في عالم الفقه، ولكن لا تلازم أبدا بين البلوغ البدني وبين البلوغ الروحي، فالبدن قد يبلغ، ولكن الروح لا تبلغ.

إن البلوغ الروحي حالة من حالات الرشد الباطني، ورؤية الأمور على حقائقها.. ولا نعني برؤية حقائق الأمور المعنى العرفاني الدقيق، الذي هو أمنية كل مؤمن ويلح في طلبه، قائلا: (اللهم!.. أرني الأشياء كما هي).. بل نعني أنه ينبغي امتلاك أقل درجات البلوغ، وهو أن نعلم ماهية الحياة الدنيا، والتي من عناصرها الحياة الزوجية.. ومن المعلوم أن الحياة الدنيا حقيقتها تتمثل في أمرين: أنها حياة فانية، وأنها مقدمة ومزرعة للآخرة.. فالاعتقاد بفنائية الدنيا، يوجب عدم التعلق بها.. والاعتقاد بأنها مزرعة للآخرة، يوجب استثمارها..

وهذا خلافا للرهبانية التي رفضها الإسلام.. فالزوجان بالإضافة إلى تفكيرهما أن هذه الحياة فانية، فهما أيضا يفكران بأنها مزرعة، ومن أفضل محاصيل وثمار هذه المزرعة، الذرية الصالحة.. فالذي يتزوج، ينبغي أن يفكر في الذرية الطيبة الصالحة، من ليلة الزفاف.. ومن المعلوم أن هذه الذرية لا تنشأ إلا في أحضان البالغين روحيا، فلا يمكن أن تكون في ضمن زوجين لا يعرفان حقائق هذا الوجود، كما ينبغي أن يُعرف.

س3/ ما معنى كلمة (الزوج)؟.. ألا يفهم من هذه الكلمة أن المرأة والرجل كلاهما يكملان بعضهما البعض؟..

إن كلمة الزوج من التعابير البليغة، ففيها معنى المسانخة والموافقة والانسجام.. ولهذا نلاحظ أن القرآن الكريم- وهو في سياق ضرب مثلا للمرأة السيئة- عبر بامرأة لوط وامرأة نوح، فلم يعبر عنهما بلفظ الزوجية، إشارة إلى أنهما كانتا تشكلان وجودا أنثويا فقط، لا جزءا مكملا.. وقد كانت السيدة خديجة (ع) بمثابة الجزء المكمل للنبي (ص) بمعنى من المعاني، وإلا فرسول الله (ص) له من الدرجات ما له.

يبدو أن هناك درجات من الكمال، لا يصل إليها الإنسان إلا بالزواج.. كما أن العدد واحد لما يضاف إلى واحد آخر، يصبح العدد من فرد إلى زوج، وهو العدد اثنان، ولو نقص لانتفت الزوجية.. فكذلك بالنسبة للرجل والمرأة، فهما عندما يقترنان يحصلان على كمال لا يكون في الحالة الانفرادية، ولهذا فإن من تزوج فقد أحرز نصف دينه.

وعليه، إن الذي ينظر إلى الزوج على أنه النصف المكمل لوجوده، والذي يكمل انفراديته، فلا شك أنه يكون دقيقا جدا في اختياره لهذا الزوج.. وإلا فإن هذه العبارة: (من تزوج فقد أحرز نصف دينه) ليست مطلقة، فليس كل من تزوج فقد أحرز نصف دينه، فإن الزوجة لو كانت غير صالحة، فإن النصف الباقي أيضا يذهب، لا أنه يكمل!.. وإنما يحرز نصف دينه، إذا كانت الزوجة فيها من المواصفات التي ذكرتها الشريعة، والمصداق لما ورد: (فاظفر بذات الدين تربت يداك).

2. المرأة تطلب لأمور[2]

إن المرأة تطلب عادة لأمور، منها: الاستمتاع الغريزي، وتدبير شؤون المنزل، والتناسل، والأنس والارتياح النفسي.. ومن المعلوم أن الأول يقل عنفوانه بتقدم العمر والأفول التدريجي للجمال، أو وجدان الرجل من يستمتع بها غير زوجته.. وأما الثاني فإن من الممكن أن يقوم به الغير.. وأما الثالث فإن له أمد ينتهي بسن اليأس أو إعراض الزوج عن النسل.. وأما الرابع فقد يفقد بريقه بتكرار التعامل والمواجهة الرتيبة، إذ أن لكل جديد بهجة.

ومن هنا يتحتم إضافة عنصر آخر، يتمثل في: الإحساس بالمسؤولية تجاه الرعية، وفي أن الزوجة أمانة من الحق المتعال أودعها -إلى أجل مسمى- بيد الزوج، وهو مسؤول عنها إلى آخر العمر، بل إلى يوم الحساب، يوم يُنادى المرء: {وقفوهم إنهم مسؤولون}.. وقد روي عن النبي (ص) أنه قال: {أقربكم مني مجلسا يوم القيامة، أحسنكم أخلاقا، وأنا ألطفكم بأهلي}.

---

[2] المرأة تطلب لأمور

س1/ ذكر في الوصية بعض دواعي الزواج.. فهل من الممكن المزيد من التوضيح في هذا المجال؟..

لا يخفى أن الزواج فيه ما فيه من المسؤوليات والأعباء الثقيلة على الإنسان، ولولا بعض المحفزات لما كنت ترى ميلا إليه، ومن هذه المحفزات هذه العناصر الأربعة:

الاستمتاع الغريزي:

ولعل هذا الجانب من أقوى الدوافع عند بني آدم، وخاصة عند الذي لا ينظر بمنطلق إنساني، وأن هذه الزوجة أمانة إلهية.

تدبير شؤون المنزل:

إن البعض إذا قصرت امرأته في تدبير شؤون المنزل، يعترض عليها اعتراض من ارتكبت حراما، أو قصرت في واجب!.. والحال بأن الكل مجمع على أن هذا ليس من شؤون المرأة أبدا، فليس من واجبات المرأة أن تكون طابخة وغاسلة في المنزل.

الرغبة في التناسل:

وإن كانت هذه الرغبة أرقى من الاستمتاع الغريزي، ولكنها أيضا تبقى في دائرة الاهتمامات الزوجية في الحياة الدنيا، ومن متاعها.

الأنس والارتياح النفسي:

وهذا الذي أشارت إليه الآية الكريمة: {لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً}.

ولكن إذا تأملنا في مجمل الكتاب والسنة، فمن الممكن أن نضيف عنصرا آخر، ويعتبر عنصرا مهيمنا ومسيطرا وجامعا على هذه العناصر، وهو أن المرأة أمانة الله تعالى عند الرجل:

إن رب العالمين-لمصلحة يراها- جعل هذه المرأة تحت قوامة الرجل، ولا شك إن هذه مزية، ومن المعلوم أن مع كل مزية ضريبة ومساءلة.. وهذا موجود حتى في الأمور الدنيوية، فلو أعطي موظف في وزارة سيارة فارهة، فهذا تكريم له على بقية الموظفين، وامتياز، ولكنه في نفس الوقت في موضع مساءلة، فيساءل عن النقص، وعدم الاهتمام بهذه الدابة.

وعليه، إن الزوجة كلما زاد شأنها وقدرها، وارتفع إيمانها، كان جانب حفظ الأمانة، أعظم وأعمق على الزوج.. وإن المؤمن الذي يسعى لتكوين هذا العش الزوجي، عليه أن يلحظ بعين الاعتبار هذا الجانب، وهو أن الله تعالى لأمر ما، جعل هذه الزوجة أمانة بيد الرجل.

س2/ إن الآية: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ}، تشير إلى موقف مهيب وهو المساءلة.. فهل الإنسان يساءل عن أسلوبه في التعامل في حياته الزوجية؟..

إن الآية مطلقة، فلم تفصل عن ما هو السؤال، وعمن هو السؤال.. ولكن من المعلوم أن كل أمر يستتبع تكليفا، فإنه من موارد المساءلة، وبما أن الزوجة لها حقوق وتكاليف على الزوج، فإن هنالك سؤال.. إن الله تعالى جعل أحكاما شرعية وتكاليفا يلتزم بها المؤمن، فكما جعل حكما للجار وحكما للمتبايعين، فقد جعل حكما للحياة الزوجية، وما دام هنالك جعل شرعي لأحكام شرعية، فبإزاء كل جعل شرعي هناك مساءلة.

س3/ إن البعض يشترط صلاح الزوجة، ليكون هو صالحا، أو العكس، فما هو الرد عليه؟..

إن المؤمن يحاول أن يجعل سلوكه دائما، موافقا لما يرضي الله تعالى، ويقتدي بسلوك الأنبياء والأئمة (ع)، والذي هو السلوك المرضي عند الله تعالى.. والقرآن الكريم ذكر لنا ممن ابتلي من الأنبياء بزوجات سيئات، وهما نبيا الله نوح ولوط (ع)، وعبر عنهما بالخيانة، وليس المعنى بالخيانة الزوجية وإلا أوجب الوهن للنبي (ص).. وممن ابتلي من الأئمة، الإمام المجتبى والإمام الجواد (ع).. ولكن إن هؤلاء الأنبياء والأوصياء مع عصمتهم، ومع ما هم فيه من الدرجات العليا، قد تحملوا هكذا زيجات.

إن المؤمن عليه أن يعمل بتكليفه، وهو أن يكون صالحا، ولا يهتم لردة فعل الطرف الآخر، إن كان يقدر هذا الصلاح ويستثمره، أو ينكره.. ومن المعلوم أنه كلما زاد صلاح المؤمن، وارتفع مقامه عند الله تعالى، وكان في منتهى حسن المعاشرة، ولم يواجه من الطرف المقابل إلا بالأذى، زاد أجره.. فإن كان ذاك الإنسان لا يقدر، فإن الله تعالى لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى، وإن له من الأجر العظيم على ما يتحمله من الأذى، وقد ورد أن النبي (ص) قال: (من صبر على سوء خلق امرأته، أعطاه الله من الأجر ما أعطى داوود (ع) على بلائه، ومن صبرت على سوء خلق زوجها، أعطاها مثل ثواب آسية بنت مزاحم).

3. خلود الحياة الزوجية[3]

الاعتقاد بأن الحياة الزوجية عند المؤمن لا تنتهي بانتهاء الحياة الدنيا، بل أن المرأة الصالحة تلتحق بالزوج مع أبنائها (بشرط الصلاح) في الجنة، بمقتضى قوله تعالى: {جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم} و{والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم}.. إن هذا الإحساس بالاستمرارية، بل الخلود في العلاقة الزوجية بلوازمها، يضفي على الحياة الزوجية رباطا، لا ينفصم بتقادم الدهور والأعوام.

---

[3] خلود الحياة الزوجية

س1/ إن أفضل استثمار في الحياة الزوجية، هي الذرية الطيبة.. فكيف يصل الإنسان إلى هذه النتيجة المباركة؟..

إن من أفضل ثمار الحياة الزوجية، هي الذرية الصالحة، وهذا يكون نتيجة لعدة أمور، منها:

الطلب من الله تعالى:

إن الذي يحمل هذا الهم، لاشك أنه يكثر من الدعاء والطلب، حتى لو كان في ليلة الزفاف، فرب العالمين يريد منا أن نذكره في كل حال، وخاصة في حالات الغفلات.. فالذي هو في ليلة الزفاف، ليلة الغفلة والتشاغل بملذات الحياة، ويخلو بربه، طالبا الذرية الطيبة الصالحة، بلا شك أن هذا الدعاء في مظان الإجابة.

السعي في أثناء الحياة الزوجية:

إن الحياة الزوجية فيها مسؤوليات، إلا أن البعض لا يهمه فيها إلا جانب المتع والانشغال بالملذات.. إن بعض الأزواج همهما أن يعيشا حياة هانئة سعيدة، ملأى بالمتع، ويغفلان عن دورهما التربوي والتوجيهي في الأسرة للأولاد، فيهملان أمر الأولاد، ولا يهتمان بمن أصدقاؤهم، ولا أين يذهبون؛ متشاغلين بأنفسهما وبلذائذهما وبسفراتهما وبأسواقهما.. فمن الطبيعي أنه بمقدار ما نعطي من الاهتمام للأولاد، فإننا نحصل على الثمار المرجوة.

استثمار الوضع الموجود:

يتفق أن الرجل بعد فترة من الزواج يكتشف أنه لم يحسن اختيار الزوجة المطلوبة، أو أن المرأة تكتشف أنها لم تحسن اختيار الزوج المطلوب.. فعلى فرض أن الإنسان لم يكن موفقا في الاختيار، والزيجة-لا قدر الله- كانت فاشلة، فإذا أمكنه التدارك، وأن يرفع من مستوى الطرف الآخر، فليعمل وليسع جهده لذلك.. أو إذا كان الأمر في أوائل العقد أو الخطوبة، فيمكن فسخ العقد، إذا لم يخش الوقوع في مشاكل أخرى، ويقع في زلزال أسري..

ولكنه بعد فترة من الحياة الزوجية، وإنجاب الأولاد، فقد لا يكون هذا مناسبا.. على فرض أن الزوجة لم تكن زوجة مثالية كما يتوقعها الإنسان، فعليه باستثمار الوضع الموجود.. إن البعض يدمر العش الزوجي بعد عمر طويل، ويفقد الزوجة والأولاد، ويبدأ يفكر في بناء عش جديد، وهو لا يعلم إلى أين ينتهي هذا العش أيضا!..

فعليه، إن التفكير في استثمار الذرية الصالحة، لمن أفضل صور الاستثمار، وخاصة بأن صلاح الذرية له آثاره إلى أبد الآبدين، وليس في عالم البرزخ فقط، إذ الإنسان وهو في قبره تأتيه الحسنات والصالحات.. بل وحتى في عرصات القيامة لا يستبعد على الكرم الإلهي أن الولد إذا كان في القمة من الصلحاء، كأن كان مرجع تقليد، أو خطيبا من خطباء أهل البيت (ع)، ويكرمه رب العالمين بدرجة متميزة في الجنة، في قرب النبي وآله (ص)، فمن الممكن بشفاعة هذا الولد، أن يرفع رب العالمين من مستوى أبويه إلى مستواه.. كما أن نبي الله يوسف (ع) رفع أبويه على العرش، من الممكن أن هذا الولد يرفع مستوى الأبوين.. وعندئذ يعلمان قيمة هذا الولد، الذي لم يكن يحسبان حسابه في الدنيا، لأن الزيجة كانت بحسب الظاهر، زيجة غير ناجحة.. ولكن رب العالمين جعل في هذه المحارة التالفة أو المعيبة، هذه اللؤلؤة النادرة.. فكرامة لهذا اللآلئ، علينا أن نحاول أن نحافظ على مجمل الحياة الزوجية.

س2/ يتفق أن الأبوين يكونان في قمة الصلاح، ويبذلان جهودهما في تربية الابن، ولكنه يكون ابنا غير صالح كابن نوح (ع).. فما هو تفسيركم لهذه الحالة؟..

إن الجهود في بعض الأوقات لا تثمر، كما كان لنبي الله نوح (ع)، فمع أنه من أنبياء أولي العزم، ومن المعصومين، ولا شك أنه بذل قصارى جهده البشري في تربيته لهذا الولد، وإلا لم يكن نبيا معصوما، لأن المقصر في تربية أولاده إنسان بعيد عن رحمة الله تعالى.. فكيف إذن أن نوح (ع) بذل جهده في تربية ولده، وكانت عاقبته الغرق، ولم يكن من أهله؟!.. وهذه ظاهرة ملاحظة في غيره من أولاد الصالحين، وبعض أبناء الأئمة أو أحفادهم.. مع العلم أن البعض يحتاط في هذا الأمر، ويقول بأنه لعل ما ينقل من سلبيات بعض أولاد الأئمة، إدعاء من الأعداء، من أجل تشويه سمعة المعصوم، ولكن التاريخ ينقل بعض المواجهات من أحفادهم.

والجواب على هذا السؤال:

إن المؤمن دائما وأبدا مطلوب منه السعي، فهو سعى في تهيئة الأجواء الملائمة لتميز الولد، ولكن الولد لسوء اختياره ولسوء طينته الاختيارية، لم يكن صالحا.. قد تقول كيف تكون طينة واختيارية؟.. إن هذا يحتاج إلى بحث مفصل، ولكن إجمالا نقول:

إن هناك طينة جاءت من عالم الخِلقة، وهناك طينة جاءت من عالم السلوك الخارجي، الذي يختاره الإنسان لنفسه بنفسه.. فمثلا: إن الإنسان المدمن على النظر الحرام، تصبح طينته شهوية.. وإن الإنسان الذي يحتد في الكلام، تصبح طينته غضبية.. فالطينة الاختيارية أي الطينة التي هي من نتاج العمل.

والمثال الواضح للذي يبذل جهده في أمر ما، ولا يرى ثمرة جهده، بمثابة الأستاذ الذي يؤدي تكليفه كاملا، في الصف الدراسي، بينما كل الطلاب يفشلون في اجتياز الامتحان النهائي.. فهنا التقييم للأستاذ لا يكون لعدم نجاح الطلاب، وإنما لجهد الأستاذ.. وكلما كان الطلاب أكثر مشاكسة، والأستاذ زاد احترافا ودقة في العمل، كان أقرب للعطاء والجائزة.

فإذن، إن الإنسان المؤمن عليه أن يسعى في هذا المجال، ولا ينتظر النتائج الفعلية.. ونحن لاحظنا أن الإنسان يبذل جهده على ولده الأول، ولا يرى فيه خيرا، ويبذل نفس الجهد أو أقل منه على من بعده، ورب العالمين يبارك في جهده هذا، وكأنه تعويضا لما خاب ظنه في الولد الأول.

س3/ من المعلوم أن الجهود المبذولة من قبل الزوجين، في سبيل الحصول على ذرية صالحة، من قبل الحمل والولادة، لها دور كبير ومتميز في صلاح الأولاد.. فما هو تعليقكم على ذلك؟..

بلا شك.. ونحن عادة نؤكد في هذا السنخ من الأحاديث، على أن تربية الأولاد ليست من سن البلوغ فما بعد، إنما لابد من الاهتمام بهذا الأمر من قبل الزواج أصلا، وذلك من خلال مقدمات الزواج، باختيار الزوجة المثالية، غير خضراء الدمن، التي تحمل نطفة الإنسان، وقد ورد: (اختاروا لنطفكم؛ فإن الخال أحد الضجيعين)، (تخيروا لنطفكم؛ فإن العرق دساس)..

فالاهتمام بما قبل الزواج، وليلة الزفاف، وأثناء الحمل، وساعة الولادة، وسنتي الإرضاع؛ كل هذه المراحل دخيلة في تكوين الذرية الصالحة.. فإن الذي يريد ولدا متميزا، لابد أن يراجع الآداب والسنن.. فالبعض-مع الأسف- يكتفي بالرسالة العملية، بالحلال والحرام، هذا إن عمل بالرسالة..

إن من المناسب بعد العمل بالرسالة العملية، مراجعة مستحبات الحمل ومستحبات الإرضاع..

ومما ينقل عن الشيخ الأنصاري- الشيخ الأكبر الذي معظم علمائنا إلى يومنا هذا من خريجي مدرسته- أنه لما بلغ أمه خبر تميزه بأنه صار مرجعا، أنها قالت: إنها كانت تتوقع أن يكون نبيا، لأنها كانت ملتزمة بإرضاعه على طهور.

إن الدوام على الطهور، هذه سنة طيبة، ومطلوب أن يكون الإنسان على طهور دائما، سواء كان ذكرا أو أنثى، والأنثى المرضعة أولى من غيرها في أن تكون على طهارة.. إن الذي يريد التميز لولده، لابد أن يحسب الحسابات منذ الأيام الأولى-كما قلنا- قبل الزواج وما بعده أيضا.

4. مباركة الحق للحياة الزوجية[4]

إن من أهم عوامل التجاذب الروحي بين الزوجين–إضافة إلى سعي كل منهما في إيجاد موجبات ذلك التجاذب– هي مباركة الحق المتعال لتلك العلاقة، ولهذا يسند الحق المتعال التوفيق إلى نفسه، عند إرادة الإصلاح من الزوجين بقوله: {إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما}.. ومن هنا كانت الاستقامة العملية للزوجين في ساحة الحياة–داخل البيت الزوجي وخارجه– من موجبات نظرة الحق المتعال لهما، مع ما تستتبعها من الألفة والثبات في العلاقة الزوجية.

---

[4] مباركة الحق للحياة الزوجية

س1/ هل لعدم الاستقامة العملية في سلوك الزوجين وارتكابهما للمعاصي، أثر في تدمير العش الزوجي؟..

لا شك أن المعاصي من موجبات تدمير الحياة الزوجية، فالقضية منطقية وطبيعية جدا، والبرهان على هذه الدعوى أمران:

الأول: زوال المباركة الإلهية:

إن الذي لم شمل الزوجين، هو الجعل الإلهي للمودة والرحمة بينهما، فهذا هو رأس المال الذي يقتات منه الزوجين إلى آخر العمر.. كما أن رب العالمين هو الذي جعل المودة والرحمة بينهما، فإن بيده جعل عكسها، فيده ليست مغلولة، وإذا شاء لظرف معين، كالتقصير من الزوجين، رفع هذه المودة والرحمة، وعندئذ لك أن تتصور كيف يكون حالهما؟!.. كما أن الصلاة عمود الدين، فإن المودة والرحمة بين الزوجين عمود الحياة الزوجية، فرب العالمين إذا رفع العمود سقطت الخيمة على وجهها.

والثاني: التزهيد بالحلال الموجود:

إن من المعاصي الدخيلة في هدم الحياة الزوجية، المعاصي الشهوية، أي كل ما يتعلق بعالم الإثارة الباطنية، سواء عن طريق النظر، أو عن طريق السمع، أو عن طريق الفؤاد، وتخيل الصور المحرمة..

فالزوج الذي ينظر إلى صور محرمة شرعا، فإنه يتعرف على صور أجمل من وجه زوجته، ويتعرف على لذائذ أرقى من لذائذ الحلال مع الزوجة، فيبدأ مع الأيام يزهد في هذا الحلال.. فإن رب العالمين جعل له زوجة من حلال، ومعاشرتها فيها أجر وثواب، وإذا به يزهد في هذا الحلال بل المستحب، ليمارس الحرام!..

ومن هنا نقول: إن الزوجين–بعض الأوقات– هما بأنفسهما يخربان بيتهما بأيديهما.. فمثلا: إن الزوجة بإصرارها على الذهاب لبعض البلاد، أو لبعض الشواطئ، أو لبعض المطاعم ذات الأجواء

غير الشرعية، فهي بإصرارها هذا ودعوتها للزوج إلى هذه الأجواء، وكأنها تضع الإسفين في الشجرة المباركة!..

فبلا شك أن ارتكاب الحرام، من موجبات تذويب هذا البناء المبارك.

س2/ إن الملاحظ هذه الأيام مع انتشار الفضائيات والانترنت، ازدياد كثرة الشكاوى على الأزواج من الزوجات.. فما هي نصيحتكم للزوجة المبتلاة بزوج غارق في بحور الرذيلة؟..

كما قلنا إن هذا باب من أبواب الفساد، يفتحه الإنسان على نفسه.. والقرآن الكريم يعبر تعبيرا جميلا في قوله تعالى: {وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا}.. أي أن الشيطان كأنه يترصد، ليرى أقل منفذ، للدخول إلى داخل العش الزوجي..

ومن الممكن أن يقال: إن من أضعف الحلقات التي يمكن من خلالها أن ينفذ الشيطان، هي الحلقة الزوجية.. فإن المؤمن يمكن أن يحاول معه الشيطان، ولكنه قد يلتفت ويراقب، ولكن في الحياة الزوجية، هناك زوجان، ولكل منهما شيطان.. فالزوج يريد أن يواجه شيطانه، ويواجه شيطان زوجته؛ وكذلك الزوجة تريد أن تواجه شيطانها، وتواجه شيطان زوجها.. فهو لم يفلح في طرد شيطانه هو، وإذا بشيطان آخر حل في المنزل!..

ولهذا فإن القضية قضية معقدة مركبة، وإن العش الزوجي عادة من مظان حومان أو دوران الشياطين، وقد ورد في الحديث: (لولا أن الشياطين يحومون على القلوب بني آدم، لنظروا وإلى ملكوت السماوات والأرض).. فالشياطين كما تحوم حول القلب الواحد، كذلك تحوم حول البيت الزوجي، ومن هنا سهل عليه أن يصطاد فرائسه، من خلال هذه العملية.

س3/ كيف يتدخل رب العالمين في الإصلاح بين الزوجين، كما ذكرت الآية الكريمة: {إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا}؟..

نحن نلاحظ كيف أن الزوجين كليهما بعد العقد مباشرة، كم تغمرهما حالة من الإحساس بالأنس والمودة.. إن رب العالمين بأي طريقة جعل هذه المودة والرحمة بينهما، وقد كانا قبل العقد أجنبين، لا علقة روحية بينهما؟.. إن الذي جعل هذه المودة الغامرة، أيضا يوفق بينهما، فإن له ما له من أساليب التدخل في قلب بني آدم.

ومن المعلوم أن رب العالمين سلط الشيطان على بني آدم، بمعنى أنه أذن له أن ينفذ في قلوبهم، وإلا فرب العالمين لا يصدر منه إلا الخير: {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ}.. فإذا كان رب العالمين أذن للشيطان أن ينفذ في قلوب بني آدم، ألا يأذن لنفسه أن يتدخل ويتصرف في قلوب بني آدم؟..

أيجعل للعدو مجالا–وهو أرحم الراحمين، وهو أكرم الأكرمين– ولا يجعل الحق محفوظا لنفسه في أن يتدخل في قلبي الزوجين، ويوفق بينهما؟!..

جاءت امرأة إلى النبي (ص) تشكو زوجها، وكانت شكواها فيها من العتاب الكثير على الزوج، فالنبي (ص) نادى زوجها، وجمعهما، ولعله وضع رأسه على رأسها، ثم دعا لهما بأن يؤلف الله تعالى بينهما، وإذا بالمرأة تقول أنه لا أرى في الأرض إنسانا أحب إلي من هذا الزوج.

إن دعاء النبي (ص) مستجاب، وكذلك دعاء المؤمن– وخاصة إذا كان ملهوفا مضطرا– مستجاب أيضا.

س4/ ما هي الشروط والنصائح، لمن يريد أن يوفق للإصلاح بين الزوجين؟..

إن من المناسب للمؤمن إذا أراد أن يصلح أمرا من الأمور، قبل أن يعتمد على قدراته اللفظية والكلامية، وعلى لباقته الاجتماعية والفردية، من المناسب أن يستمد العون من الله تعالى، بأن يصلي ركعتين خاشعتين، في خلوة من الخلوات، أو في بيت من بيوت الله تعالى.

وبشكل عام، فإن المؤمن يستغل الصلاة بين يدي الله تعالى، لكل أمر يهمه.. ومن الملفت أن من الصلوات المستحبة، صلاة الجائع، فالإنسان الجائع يحتاج إلى طعام، ولكن الشرع يقول صل ركعتين.. وما المانع مثلا لو أن شابا عنده امتحان نهائي، قبل أن يخرج من المنزل، يصلي ركعتين لتيسير الامتحان، وليقل: يا رب!.. أصلي ركعتين لقضاء الحاجة، وليسمها.. وهكذا في الإصلاح بين الزوجين، وقد كان الإمام السجاد (ع) له سجدات، ومن سجداته إذا وفق لإصلاح ذات البين.

لأن الشيطان في ساعة الإصلاح، يتدخل لتحريف مسير الأمور؛ فلمنع الشيطان من الدخول في ساعة الإصلاح، وفي جلسة الإصلاح، من المناسب الاستعاذة، وقراءة شيء من كتاب الله تعالى، وصلاة ركعتين، والدعاء بأن يبارك الله تعالى في هذه الجلسة.

وإن رب العالمين–كما وعد في كتابه– يوفق بينهما، فهو أصدق من وعد، وأكرم من أعطى، فهناك بشرى بقضاء هذه الحاجة، من التوفيق بين القلبين.

وهنيئا لمن يوفق للجمع بين رأسين، أو أن يرفع خلافا بين رأسين!.. وقد يكون–والله العالم– رفع الخلاف بين الزوجين عند الله تعالى، أحب من أصل التزويج؛ لأن هذا الإنسان إذا لم يزوج هذا الشاب بهذه الفتاة، فقد يأتي إنسان آخر.. ولكن إذا وقعت الواقعة، وصار البيت في طريقه إلى الشتات، فإن من أفضل القربات إلى الله تعالى، التصدي لإصلاح الأمور في هذا الظرف.

5. الوصف الإيماني لا الشخصي[5]

إن من الضروري أن ينظر كل من الزوجين إلى الآخر، بوصفه الإيماني، لا بوصفه الشخصي.. فإن عدم وجود الرقابة البشرية داخل البيت، وانفراد كل منهما بالآخر في كثير من الساعات، يهيئ الأرضية للتعدي وتجاوز الحدود.. إذ أن الإحساس بالرقابة الإلهية المتصلة، من موجبات الالتزام بالحدود والقيود، وإن غاب الرقيب البشري.. وقد أكد الحق تعالى هذه الحالة من الرقابة بقوله: {والله يسمع تحاوركما}.

---

[5] الوصف الإيماني لا الشخصي

س1/ كيف يمكن للزوج أن يحول نظرته إلى الزواج، من نظرة عاطفية أو مادية، إلى نظرة إيمانية؟..

إن هذه الوصية من أهم الوصايا في الحياة الزوجية؛ لأن كثيرا من المشاكل تنشأ من التفريط بها، وعدم الالتفات لها.

إن الرجل–مع الأسف– من حيث يشعر أو لا يشعر، ومن حيث يعترف أو لا يعترف، عندما يتزوج فهو في تعامله كأنه وضع زوجته في قفص الحياة الزوجية، فلا ترى في الغالب إلا حياة يغلب عليها السيطرة والتقييد الغير الشرعي، من الرجل قبل المرأة.. ولهذا فإنك ترى بعد فترة من الزمن، أن الزوجة تعيش حالة الاستسلام، بدل حالة الأمان والرضا، بأنه لا خيار لها بعد هذه العيشة المرة، ولابد لها من الصبر عليها، لأن ما بعد هذه الحياة وهو الطلاق، ما هو أشد مرارة.. فبقاؤها في هذه الحياة الزوجية، لا من باب أنها تعيش حلاوة الحياة الزوجية، وإنما خشية أن تقع فيما هو أشد، من فراق الأولاد وتوابعه.

فإن البعض عندما يتزوج، لا يعلم إن هذه الزوجة هي أمانة إلهية، لا بل هي هدية إلهية.. أليس بعض الشباب قبل أن يتزوج، كان مبتلى ببعض الهفوات الشبابية، كما هو المتعارف؟!.. ألا يكفي أن هذه الزوجة حصنتك، وأحرزت لك نصف دينك؟!.. نعم، إن هذه المرأة نعمة من النعم الكبرى، وهي طريقك إلى الجنة.

فإذن، إن المشكلة تكمن في طبيعة النظرة إلى الزوجة، بأنه كيف ينظر الزوج إلى الزوجة؟.. فإن كانت النظرة إلى الزوجة، على أنها مجرد إنسانة جاءت إلى المنزل بشيء من الجمال الظاهري والمال، فمن الطبيعي أن قيمة هذه الزوجة مآلها إلى التناقص، تبعا للأفول التدريجي للجمال، الذي هو أمر قهري، وسنة الله تعالى في خلقه..

أما إذا كانت النظرة إيمانية، على أنها أمانة إلهية، فإن مرور الأيام لا يزيدها إلا قيمة عند الرجل المؤمن.. لأنه في كل يوم يمر، يرى بأنها تزداد خدمة له، وقد كان له ولد منها، فأصبح له الآن ولدان.. فيقدر لها ما تبذله من جهود، تسعده وتريحه وتعينه في الحياة..
بل إن الرجل–إذا كان مؤمنا بالمعنى الكامل للإيمان، وأن الدين المعاملة– يصل إلى درجة أنه يرى ما يتعرض له من أذى الزوجة، أنه سبيل لتكامله، فتراه يستمتع بكظم الغيظ، والصبر عليها، فما هو فيه تدريب قهري للحصول على ملكة كظم الغيظ.. ولكن هذا إذا يئس من التغيير فيها، ورفع مستواها، لأن الزوجة من شؤون الزوج، فمن وظائفه أن يحاول أن يربيها، ويصلح أمرها، لا أن يتركها وشأنها، ويرضى بغضبها، حتى هو يتكامل من خلال كظم الغيظ.. ونفس الكلام أيضا ينطبق على المرأة الصابرة، على أذى زوجها، فإنها أيضا تصبح من النساء المتميزات.

وإن من المحفزات لكل من الزوجين على حسن التعامل مع بعضها البعض، هو قراءة الروايات الواردة في حق المؤمن على المؤمن، والثواب المترتب على ذلك.. والمقصود بالمؤمن الأعم من الرجل والمرأة، فالروايات تنطبق أيضا على حق المؤمن على المؤمنة، والعكس، وليس هناك خصوصية للذكورة، فهذه الرواية (أيما مؤمن نفّس عن مؤمن كربة، نفّس الله عنه سبعين كربة من كرب الدنيا وكرب يوم القيامة)؛ تنطبق على الزوجة التي تفرج الكربة عن زوجها، أو العكس.. والروايات التي تتحدث عن ثواب سقي العطشان، وإشباع الجائع، هذه الروايات ألا تنطبق على المرأة التي تطبخ الطعام، وتنوي به أن تطعم مؤمنا يأتي من العمل جائعا.

وهكذا.. وإذا بالحياة تنقلب رأسا على عقب، إلى جهة الإيجاب، من حياة بشرية تحكمها القوانين البشرية المتعارفة، إلى بؤرة إيمانية.. فالرجل ينظر إلى المرأة على أنها أمة الله، والمرأة تنظر إلى الرجل على أنه عبد الله، ويا لها من عيشة سعيدة!..

س2/ ذكر في الوصية ضرورة الرقابة الذاتية، والإحساس بالرقابة الإلهية في ضبط السلوك، وحسن التعامل بين الزوجين.. وإن عدم الرقابة، تهيئ الأرضية للتعدي وتجاوز الحدود، وخاصة لانفراد الزوجين مع بعضها البعض في كثير من الساعات.. فما هي النصيحة لتحقيق ذلك عمليا؟..
إن الرقابة هي العنصر الأساسي، لأي عملية تكاملية في الحياة، سواء مع الفرد أو الأسرة أو المجتمع، وهي بمثابة المرايا التي تكشف للسائق عن أي خطر حوله، والفرامل التي تجعله يتوقف حينها..

فالرقابة بمعنى أن يكون للإنسان القدرة على تشخيص المنزلقات، وإيقاف النفس عند أول منزلق أمامه، لئلا يسقط في الهاوية.. فالذي لا يمتلك هذه الرقابة، فمن الطبيعي أنه في أول غفلة يقع فيما لا يحسب عقباه.

ومن هنا من المناسب في ختام اليوم أن الزوج ينظر إلى مجمل تعامله مع الزوجة، من الصباح إلى الليل، وقبل أن ينام ينهي هذا الملف.. كم من الجميل أن الزوجين–قبل ساعة النوم– ينهيان ملف ذلك اليوم، فإن كان خيرا، فكلاهما يشكر الآخر على هذا اليوم المبارك، وإن كان فيه شرا من أي جهة، يتصافيان..

لأن تراكم هذه السلبيات، له أثران، إذ يباعد القلبين عن بعضهما، والأثر الأهم هو السقوط من عين الله تعالى.. فينبغي الحذر من الغضب الإلهي، فقد يكون موقفا عن العبد، ولكنه لا يعلم متى يحل عليه هذا الغضب: {وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى}.. فالزوج قد يظلم زوجته في شهر كامل، ولا يرى مؤاخذة من رب العالمين، فيظن أنه على خير، وهو لا يعلم أنه هناك ملفات أحكام مع إيقاف التنفيذ، ويظلم في الليلة الحادية والثلاثين، وإذا بهذا الذنب يوجب سقوطه من عين الله تعالى.. وللعلم أن بعض النساء يصبرن على أذى الزوج، لأنه لا طريق لهن إلا هذا الطريق، لا أنها راضية عنه وصفحت عنه.. بينما لو أن الزوجين عقدا جلسة مصارحة، في كل يوم، بلطف وبشيء من المقدمات الإيمانية، فإنهما ينهيان هذا الملف، ويريحان أنفسهما من التبعات التي يمكن حلولها في أي لحظة.

إن الإنسان من الممكن أن تكون له رقابة ما مع شريكه في التجارة، أو مع زميله في العمل، أو حتى مع أبويه؛ لأن اللقاء ليس لقاء متكررا.. غير أن أسهل الضحايا، هما المرأة والرجل، باعتبار المعاشرة اللصيقة، والنظرة المتكررة من الصباح إلى الليل، فكلاهما يرى الآخر عشرات المرات، في حالات مختلفة، قياما وقعودا، ومن السهل تجاوز الحدود.. فالإنسان إذا قال كلاما فاحشا لإنسان آخر، في السوق أو في الشارع، فإنه يحسب له ألف حساب، بأنه هذا إنسان أجنبي، وقد يشتكي عليه ويفضحه.. أما الزوجة فتشتكي لمن؟!.. فهي في قبضته، ومن السهل تجاوز الحدود معها، والتعدي عليها.. ومن هنا نقول: إن المراقبة مع الزوجة، من أكثر أنواع المراقبة ضرورة، وذلك لوجود الأرضية للتجاوز.

س3/ ما هي التوصيات للزوجين في حالة الغضب؟..

يمكن أن نلخص الجواب في أمرين:

أولا: المعرفة النظرية:

إن المعرفة النظرية قد تنفع الإنسان، لكبح جماح نفسه متى ما أراد..
فمعرفة أن الإنسان في حال الغضب، يفقد السيطرة على نفسه، ويكون بيد الشيطان، يقلبه كالكرة يمينا وشمالا.. ولك أن تتصور حال إنسان ترك قيادة سيارته إلى عدوه!.. أو يشك عاقل أن مصير هذا، الانزلاق في الهاوية؟!.. فهل من عاقل يسلم زمام نفسه إلى عدوه، يقوده إلى التهلكة المحتمة؟!.. ولهذا فإن الإنسان الغضوب، عندما تذهب عنه سورة الغضب، لا يتوقع من نفسه أنه قال ما قال، وفعل ما فعل.

ومعرفة أنه في هذه الحالة، يعيش العمى المرحلي، فلا يرى الأمور على واقعيتها وحقيقتها.. فعليه بتجنب أخذ القرارات والمعاقبة والمؤاخذة، لأنه في حالة من الغليان الباطني، التي أججتها نيران الغضب، وإن هناك حالة من الضباب الحاجب في النفس، عن رؤية الأمور كما هي.. بمثابة قدر يغلي تحت نار، ويتشكل البخار والضباب.. وكما قال الشاعر: وعين الرضا عن كل عيب كليلة *** وعين السخط تبدي المساويا

ومعرفة بأن الذي يكظم غيظه، فإن رب العالمين يحشو جوفه نورا، ويسدده فيما ينبغي أن يتعامل معه في حال الغضب.. ومن المعلوم أن من كف غضبه عمن يقدر عليه، فإن أقل مكافأة له من رب العالمين، أن يكف عنه الغضب يوم لقائه.. فهنيئا لك إذا أنت غضبت على إنسان، ولك القدرة على المعاقبة، والمعاقبة بمعنى من المعاني في محلها، ولكنك من باب التأسي بالصالحين، صفحت عنه، ولم تعمل غضبك.
وإن أئمتنا طالما واجهوا أصعب المواقف، وأكثرها تحديا وإهانة، كما وقع للإمام الباقر والإمام زين العابدين (ع)، ولكنهم تحملوا في سبيل الله تعالى ما تحملوا.. وإن رب العالمين بناؤه على أن يرفع من درجة من كظم غيظه، وتواضع لغيره، ويكافئه في الدنيا قبل الآخرة، بحسن الذكر: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}.

ثانيا: تغيير الوضعية والهيئة:

تغيير الوضعية، وذلك بأن يخرج مثلا من مكان الغضب.. وتغيير الحالة التي هو عليها، فإن كان غير متطهر يتطهر.. وإذا كان موجب الغضب موجبا قويا، فعليه أن يتوضأ، ويصلي ركعتين، ويطلب من الله تعالى المدد.. فمن يعمل هذا العمل، لا شك بأنه سوف يذوب نصف غضبه، إن لم يذب كل الغضب.

ورد عن النبي (ص) أنه قال: (إن الغضب جمرة تتوقد في القلب, ألم تر إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه.. فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئا، فإن كان قائما فليجلس, وإن كان جالسا فلينم.. فإن لم يزل كذلك، فليتوضأ بالماء البارد، ويغتسل؛ فإن النار لا يطفئها إلا الماء).

6. تحديد تحرك المرأة[6]

إن من الأفضل–بل المتعين في بعض الحالات– تحديد تحركات المرأة، وخاصة في ما لو استلزم التعامل المريب مع الرجال.. إذ أنها قد تفتقد بذلك تفرغها، لما هو أهم لها وأقرب إليها، من شؤون الزوج والأولاد، بل قد تفقد في بعض الحالات أنوثتها، من خلال الاحتكاك المستمر بعنصر الرجال، وهو ما نشاهده بوضوح في بعض البيئ المختلطة، وخاصة مع ضعف الروادع الدينية.. ولا ننسى القول: أن للضرورات أحكامها، إلا أنها تتقدّر بقَدَرها.

---

[6] تحديد تحرك المرأة

س1/ ما هي نظرتكم تجاه عمل المرأة؟..

إن هذه المسألة من المسائل التي تثير الجدل كثيرا في الأوساط، فهناك من يتكلم بشيء من الحذر والمجاملة للعنصر النسائي، وهناك من له مزاج ونظرة ويتكلم وفق متطلبات ذاته.. والحال أننا نريد أن نبين ما نفهمه من مذاق الشريعة في هذا المجال.. ونتكلم أولا من منطلق العقل لا الشرع، لنقول بأن هذه القضية قضية عقلائية ومنطقية ومن لوازم الفطرة السليمة.. إن المرأة خلقت لأجل مهمة، أعلى بكثير مما يتصور هذه الأيام، بأن المرأة بإمكانها أن تدير مصنعا أو مؤسسة أو حتى تدير وزارة من الوزارات.. لأن كل هذه الهيكليات الإدارية لا ترقى إلى مستوى تربية الجيل والنشء، الذي سيكون نواة لبناء المجتمع.. فالمرأة التي تنجح في تربية الجيل تربية صالحة، بكل معاني الصلاح الذاتي والفطري والشرعي، فإن هؤلاء سيديرون دفة المجتمع بكل مؤسساته، سواء كان مصنعا أو جامعة أو وزارة أو بلدا بأكمله.

ومن المعلوم–كما تشير الدراسات التربوية– أن قسما كبيرا من شخصية الرجل، يتشكل في السنوات الخمس الأولى من عمره، وليس كما يظن البعض بأن الطفل بمثابة الجماد إلى سن البلوغ تقريبا، فالدراسات تشير إلى أن ما يمر به الإنسان في مرحلة الطفولة، يعتبر ركيزة لكثير من الانعكاسات اللاشعورية وهو في سن الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين.

وعليه، فإننا نجزم ونقطع بأن الذوق الاجتماعي، وضرورة الحياة المدنية، والتعاليم الشرعية منذ أن خلق الله تعالى آدم إلى يومنا هذا، تقضي بأن للمرأة دور أساسي، وهو تربية الذين سيديرون دفة المجتمع لاحقا.

أما إذا اضطرت المرأة لأن تخرج من إطار تربية الأولاد، والدخول في المعترك الاجتماعي أو الاقتصادي، فهنا كلام آخر، ولكن كما يقال: (إن الضرورات لها أحاكمها إلا أنها تتقدر بقدرها)..

فمثلا: من المعلوم أن هناك مواضع في جسم الرجل والمرأة لا يجوز إبداؤها حتى للمماثل، ولكن إذا كان للعلاج والضرورة الطبية فإنه يجوز..

والقرآن الكريم ذكر لنا مثالا ملفتا، وهو عمل بنات شعيب بسقي الأغنام.. ومن الممكن أن يقال أن هذا العمل خلاف المذاق الاجتماعي، فالمتعارف بأن المرأة تعمل طبيبة أو ممرضة أو مدرسة.. أما أن تعمل المرأة راعية غنم، فهذا شيء غير متعارف جدا، وظاهرة غريبة.. ولهذا لما سألهما موسى (ع): {قَالَ مَا خَطْبُكُمَا}، {قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ}، وكأنهما تريدان الإفهام بمعنى ضمني، أن الذي أخرجنا من المنزل الضرورة، وإلا فما لبنات شعيب والخروج في هذا المعترك!.

س2/ إن البعض يرى أن مكوث المرأة في المنزل، من موجبات التقوقع والانعزال وعدم الترقي ثقافيا.. فما هو تعليقكم على ذلك؟..

إن هذا رأي غير صحيح؛ فإن عالم الثقافة والمعرفة عالم واسع، ومنه عالم الكتب النافعة، ومنه عالم التفكر الذاتي، وما يسمى بالواردات غيبية كانت أم عقلية وثقافية.. ومن المعلوم أن المرأة التي تربي هذا الجيل، لها احتكاكها وتواصلها بنظيراتها وبنات جنسها، في دائرة همومها وتربية أولادها.. إن هذا ليس من موجبات التقوقع أبدا، إنما الكلام في العمل الذي يخرج المرأة من أنوثتها. والملاحظ أن بعض النساء الحوزويات التي عاشت في المنزل وتحركها من المنزل إلى الحوزوات العلمية، عندما تجلس في مجتمع نسائي، وفيهن الأكاديميات من الطبيبات والمهندسات وغيرهن، فهذه المرأة لا ينقصها شيء، بل إنها من تستولي على الجو وتتفوق عليهن.

ومن المعلوم أن الذين يتعمقون في الثقافة الدينية، فإنهم عندما يخرجون إلى أي مجال من مجالات الثقافة، فلهم عبقريتهم وتميزهم.. فعلى سبيل المثال: إن السيد محمد باقر الصدر (قده)، لم يتخرج من جامعة اقتصادية، وهو رجل لم يخرج من دائرة النجف الأشرف إلى بنوك أو غيرها.. ولكن كتابه (اقتصادنا)، يعتبر مصدر من مصادر الثقافة الاقتصادية الشرعية والبنك اللاربوي إلى اليوم.. فالعقلية الدقيقة المتعمقة عندما تعملها في مجال، فإنها تبدع.. فالمرأة التي تثقفت بهذا المعنى، فإنها عندما تدلي بدلوها في أي مجال تربوي أو نفسي أو اجتماعي، فإنها تبدع في هذا المجال.

وإن المرأة التي تطور نفسها، فهذا أولا خدمة لنفسها، ثم خدمة لزوجها.. وإن الحياة الزوجية تكون أكثر سعادة، فالرجل عندما يرجع من العمل وهو مرهق ومشحون باطنه بسلبيات العمل، وفي المقابل يرى أمامه زوجة هادئة نفسيا، لم تتعرض إلى أجواء موترة ومرهقة نفسيا، وتبادر بامتصاص ما به من تعب.. فهي بمثابة إنسان جالس في الظل وبيده شربة باردة من الماء، ويسقيها إنسان يأتي من الشمس، شربة هنيئة لا يظمأ بعدها.

إن المرأة التي تعيش في إطار المنزل، وتهذب نفسها، وتراقب سلوكها، وتثقف نفسها، وتهتم بشؤون أولادها، وعندما يأتي الرجل تكون له حضنا دافئا؛ فإن هذه المرأة لها دور كبير في عطاء الرجل وتميزه، ومن هنا قيل: (إن وراء كل رجل عظيم امرأة).. وهذه مقولة صحيحة، ومن الممكن أن نستشف من روايات أهل البيت (ع) ما يدعم ذلك.. لأن المرأة المراقبة والمهذبة، هي التي لها دور في تهذيب الرجل، إن أراد ذلك.

س3/ حثت الشريعة المقدسة من خلال تشريعات كثيرة، على عزل الرجل عن المرأة في التعامل.. فما هو السبب في ذلك؟..

إن مما يفهم من وضع الشريعة للضوابط والحدود في العلاقة بين الرجل والمرأة، أنها تريد تطبيق هذه المقولة-التي نراها هذه الأيام معلقة في قاعات المستشفيات- وهي: (إن الوقاية خير من العلاج).. فالحكمة من هذه التشريعات، هي منع التأثر السلبي للرجل من المرأة، لئلا يقع في الحفرة.. فإن وقع في الحفرة، فإننا نحتاج إلى جهد جهيد لإخراجه.. لو أن هناك طريقا مليء بالحفر، فأيهما أفضل من حيث الأمن والسلامة: أن تجعل فرق إنقاذ، وكلما وقع إنسان في حفرة تخرجه منها.. أو أن توضع علامات تحذيرية بعدم الاقتراب من أماكن الخطر، بالإضافة إلى فرق الإنقاذ، ولو سقط أحد في الحفرة، تخرجه؟..

فإن الشريعة تريد من الرجل أن لا يقترب من مواطن الخطر، فالنظرة حفرة، وبتعبير الروايات: (النظرة سهم من سهام إبليس).. ومصافحة المرأة الأجنبية حفرة.. وإن الذي يقع في هذه الحفرة، فإنه يتورط بالتعلق القلبي، والتفكير الشهوي، والعلاقات المحرمة..

فعدم النظرة، وعدم المصافحة وعدم الخلوة بالأجنبية، ومراعاة الحدود في التعامل، كما قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ}، وقال تعالى: {فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ}، حتى عدم الجلوس في مكان قد جلست فيه امرأة، ويحس فيه بحرارة بدنها، وإن كان هذا ليس محرما، ولكنه من موجبات الاحتراز.. فمجموع هذه التشريعات، يفهم منها أن الشريعة لا تريد من الرجل أن يقترب من دائرة الخطر، لا أن يقع في الخطر ثم يطبق عليه الحكم الشرعي، بأن من زنا بامرأة فعقوبته كذا وكذا.. إنما الشريعة جاءت، لتمنعك من الاقتراب.. ولهذا قال تعالى: {وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى}.. وعدم الاقتراب من الزنا، يكون بعدم الاقتراب من الأجواء المثيرة لهذه العملية.. ومن المعلوم أن من حام حول الحمى، أوشك أن يقع فيه.

7. الثابت والمتغير في السعادة[7]

ينبغي التركيز على أن الثابت والمؤثر في سعادة الزوجين، هو جانب الدين والأخلاق، فهما العنصران المتحركان في تنظيم العلاقة بين الزوجين، بل هما العنصران المتجددان اللذان لا يوصفان بالبِلى والقِدم.. وأما الجمال فهو أمر نسبي، تألفه العين في درجاته المختلفة.

وعليه، فإن المطلوب هي نسبة مقبولة من التناسب في المظهر الخارجي.. ولا شك في أن الإقدام على الزواج من المنطلقات الإيمانية، مما يوجب مباركة الحق المتعال لذلك الارتباط المقدس، كما نلاحظه من خلال التجارب المختلفة.

---

[7] الثابت والمتغير في السعادة

نسأل الله تعالى أن يبارك في هذه الحلقات المتعلقة بالحياة الزوجية، والتي جعلناها تحت عنوان (البنيان المقدس).. فالحياة الزوجية حقيقة بنيان مقدس، فبنيان: لأنه ما بني في الإسلام بناء أحب إلى الله تعالى من التزويج.. ومقدس: لأن الأجيال البشرية بما فيها من الأنبياء والمرسلين والأوصياء والصالحين، هو نتيجة لهذا العش الزوجي، فلولا اقتران سيدنا عبد الله بآمنة (ع)، لما متعت البشرية بوجود النبي الخاتم (ص).

س1/ ذكر في الوصية بأن الدين والأخلاق، هما الأساس الثابت في السعادة الزوجية.. فما المقصود بذلك؟..

إن البعض –مع الأسف– يحمل مفهوما خاطئا عن الدين والتدين، فيتصور أن الإنسان المتدين، هو الملتزم بالعبادات الجوارحية، فيكفي أنه يصلي ويصوم ويحج.. والحال بأن الدين أشمل من هذا المعنى، إن الدين المعاملة، وأن العبادات: الصلاة والصوم والحج، إنما هي في إطار تنظيم الجوارح، وتنظيم العلاقة مع رب العالمين.. فالإنسان الذي يأخذ بالبعد الجوارحي من الدين، ويهمل البعد الآخر، وهو حسن المعاملة، فإنه لم يأت بالدين الكامل المطلوب منه..

ولهذا فالمقصود بالأمانة في الحديث الوارد: (إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه): حسن المعاملة مع الزوجة، وأن ينظر إليها على أنها أمانة إلهية، وليست بأمة.. ولهذا ينصح بتزويج المؤمن؛ لأنه لو انتفى الحب الزوجي لأي سبب من الأسباب، فهذا لن يكون مدعاة لتجاوز الحدود، وظلم الزوجة.

فإذن، إن الدين هو الذي ينظم كل مرافق الحياة، في علاقة الإنسان مع ربه وأسرته ومجتمعه.. وبعبارة شرعية: ينبغي أن يكون الإنسان عادلا قدر الإمكان.. والعدالة من المعاني المشككة، إلى تنطبق على مصادقيها بدرجات متفاوتة.. فهناك إنسان عابد في أعلى درجات العدالة، وهناك إنسان

مراهق للعدالة يحوم حولها، كبعض التجار والموظفين، ولا نقطع بفسقه ولا بعدالته، أي هو إنسان قريب من العدالة التي يناط بها في المسائل الشرعية.

والعدالة عبارة عن ملكة في الباطن، تدعو إلى ترك المحرمات وفعل الواجبات.. والملكة يعني هيئة راسخة في النفس.. وأما ما يلاحظ على البعض في المواسم كشهر رمضان- حيث الأجواء الروحية الغامرة- وشهر محرم -حيث أجواء العزاء والحزن على أهل البيت (ع)- من عدم ارتكاب المعاصي، فهذا لم يرق إلى مستوى الملكة الباطنية.. وهناك بحث فقهي أنه هل أن المداومة والاستمرار على ترك الحرام، وأداء الواجب، يغني عن الملكة، أو لابد من وجود الصفة الباطنية؟.. هذا بحث فقهي يذكر في محله، ولكن إجمالا: إن القدر المتيقن من العدالة، هو وجود الرصيد الباطني الذي يدفع العبد إلى فعل الواجبات وترك المحرمات.

س2/ ذكر في الوصية بأن الجمال أمر نسبي، وأن المطلوب نسبة مقبولة.. نرجو التوضيح أكثر في هذه المسألة؟..

إن الجمال له معنيان: فهناك جمال مادي بحت، مثل الجمال الذي في الوردة، لونا ورائحة وشكلا.. وهناك جمال بشري مع شيء من الانجذاب الروحي، وهذا هو الذي يراد في الحياة الزوجية..

فقد تكون المرأة جميلة بحسب الموازين، ومواصفات الأنف والعين والفم والبشرة والشعر، مواصفات- كما يقال- قياسية، ولكن مع عدم وجود الانجذاب الروحي، لا يكفي مجرد هذا الجمال الظاهري، لتحقيق السعادة الزوجية.. ولهذا نلاحظ أن البعض عندما يتزوج هكذا امرأة، أنه بعد فترة قصيرة لا يطيقها، لأن هذه سنة الله تعالى، بأنه كل جمال مادي في الحياة الدنيا يزول بريقه مع الأيام، وأن لكل جديد بهجة.

لا ينكر أن الجمال أمر مطلوب، وهو شيء عرفي.. ولكن يكفي أن يكون في المرأة شيء من الجمال البشري الظاهري، وأن تكون مقبولة في جمالها، وإن الأمر الأهم هو الانجذاب الروحي..

ومن المعلوم أن الانجذاب الروحي قد يتحقق، حتى مع عدم وجود جمال ظاهري، فإن الرجل قد يجلس مع رجل آخر لونه أسود قاتم، ولكن لأن له بعدا إلهيا، يرتاح له ويأنس به، ويحب الجلوس معه.. لو أن هذا الإنس والانجذاب، الذي يتفق أن يكون من رجل مع رجل غير جميل، وله بعد معنوي جميل، فلو أن هذا الانجذاب كان في الزوجة، مع قدر من الجمال النسبي المتعارف، فستكون هذه الحياة حياة سعيدة.

س3/ من الملاحظ عند البعض أنه يضع مواصفات معينة في الزوجة، ويظل يبحث ولا يجد من يريدها.. فما هو تعليقكم على هذا الأمر؟..

إن الذي يصر على قائمة من المواصفات القياسية، فسوف يبقى بلا زواج في هذه الحياة الدنيا، لأن رب العالمين ما جعل الكمال فيها، ومن أراد الكمال والجمال، فلينتظر الحور العين، ولكن من بعد يوم القيامة!.. فلابد من الواقعية، ووضع سلم الأولويات، ونعتقد أن أهم شيء في المرأة، هذه العناصر الثلاثة:

أولا: التدين:

أن تكون المرأة تقبل حكمية الشريعة، فإذا قيل لها أن هذا أمر لا يجوز، تسلم به بلا نقاش.

ثانيا: الجاذبية النسبية والجمال المتعارف:

لا يخفى أن بعض الجمال غير المتعارف، بلاء للزوجين: فالزوجة قد تبتلى بالافتتان بجمالها، وقد تمن على الزوج بجمالها، وترى نفسها في مستوى أرقى، لأجل شيء من البشرة الجميلة.. وقد تكون فتنة للغير، فالرجل عندما يخرج مع زوجة في منتهى الجمال، يخشى من وقوعها تحت تأثير بعض المغريات، وهذه الأيام ما أكثر الذين في قلوبهم مرض.

ثالثا: قبول قوامة الرجل:

إن الأسرة عبارة عن حكومة مصغرة، ولابد لهذه الحكومة من قيادة، وإذا كانت هناك حالة من حالات المشاكسة والمنافسة والتحدي، بين الزوجين، في إدارة دفة سفينة الحياة الزوجية، فمن الطبيعي أن مآل هذه السفينة هو عدم الوصول إلى الساحل.. إلا أن بعض النساء تنتابها حالة من الخوف من هذه القيمومة، ولكن المقصود هو القيمومة الشرعية الحكيمة العادلة، لا قيمومة الإنسان المتعنت والمتسلط.

فإذن، إذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة في امرأة، فلا شك أن الحياة الزوجية ستمشي في الاتجاه الصحيح، إن شاء الله تعالى.

س4/ مما يفهم من الوصية إن رب العالمين يبارك للبعض في حياته الزوجية، فما هو سر هذه المباركة، وكيف تكون؟..

إن الله تعالى يبارك للذي يهيئ الأرضية، فالزوجان إذا حققا العبودية لله تعالى، كما يحب ويرضى، واصطبغت حياتها بصبغة إيمانية، فإنهما يهيئان الأرضية الموجبة للمباركة الإلهية لحياتهما.. فرب العالمين فياض كريم، ولكن لابد من وجود الأرضية القابلة.. كما نلاحظ في مباركة الله تعالى لإبراهيم (ع) وعائلته، فرب العالمين لما نظر إلى هذا التسليم لأمره، من جميع أفراد هذه العائلة: من إبراهيم الشيخ الكبير وتركه لزوجته وطفله في واد غير ذي زرع، وزوجته الصابرة المستسلمة

للغربة، وإسماعيل وكان في علم الله تعالى-إذ يعلم بمآل الأمور- أن فيه القابلية على الاستسلام للأمر الإلهي، للذبح مستقبلا..

إن رب العالمين لما رأى هذه الأرضية القابلة، بارك هذه المباركة، فالحج الإبراهيمي بمعالمه: زمزم، وحجر إسماعيل، وهرولة هاجر؛ ما هو إلا تخليدا لهذه الذكرى، عاما بعد عام على مر العصور والقرون، والنبي الخاتم (ص) من ذرية إبراهيم (ع).

فإذن، إن الذي بارك في آل إبراهيم وآل النبي، يبارك لك أيضا في آلك، وفي عائلتك؛ ولكن بشرط أن تقدم لله تعالى قربانا، كما قدم إبراهيم (ع) وغيره من الصالحين.

والمقصود بالقربان، هو اجتياز الاختبارات الإلهية بنجاح.. وقد ذكر رب العالمين في كتابه أنه ابتلى نبيه إبراهيم: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}.. ولكن هذا الابتلاء ليس خاصا بالنبي إبراهيم (ع)، بل موجودا في حياة كل إنسان، فإن رب العالمين بين وقت وآخر، يبتلي الإنسان إما بعالم الغضب، أو بعالم الشهوة، أو بعوالم أخرى.. فإذا كان من العبد التضحية بالنفس والنفيس، ليثبت جدارته في عالم العبودية- فإذا قدم قربانا بهذا المعنى- فإن رب العالمين يجتبيه، ويستخلصه لنفسه.. ورد في حديث قدسي: (إذا أُطعت رضيت، وإذا رضيت باركت، وليس لبركتي نهاية).. إن رب العالمين بيده خزائن السماوات والأرض، يفتحها لمن يشاء، وكيف يشاء، ومتى شاء، وبما شاء.

8. الجميلة والمليحة[8]

ينبغي التفريق بين الجاذبية الباطنية (والتي لها معادلات غير معروفة بشكل واضح) وبين الجاذبية الشكلية، ولهذا يفرقون بين المليحة والجميلة.. ومن المعلوم أن الأول نوع جمال يستند إلى الخصال الباطنية، التي لو اكتملت في فرد، قذف الله تعالى محبته في قلوب الآخرين، كما هو مشاهد بالوجدان.

---

[8] الجميلة والمليحة

س1/ هل من سبيل لإضفاء الجمال في الباطن؟..

إن كلمة الجمال مما تستهوي عامة الناس، وخصوصا الجانب النسائي، لأن المرأة بطبيعتها الأنثوية وفطرتها ترى بأن الجمال هو رأس مالها، ويشجعها على ذلك تكالب الرجال على الجمال الظاهري.

ومن المعلوم بأن الجمال له بعدان:

الأول: الجمال الظاهري المرتبط بعالم الأبدان:

والذي هو عبارة عن تناسق الأعضاء، وخصوصا الوجه، لأن جمال المرأة في وجهها وشعرها، وإلا فما دون الرقبة فالأمور متشابهة.. ومن المعلوم أن هذا الجمال أمر نسبي، بمعنى أنه مختلف من شخص لآخر، فقد يرى إنسانا هذا الوجه جميلا، وإنسانا آخر لا يراه جميلا.. ومن الطريف ما ينقل عن أحد العشاق، أنه لما قيل له أن هذه التي أنت مغرم بها، ليست على مستوى متميز من الجمال، فلم أنت هائم بها هذا الهيام؟!.. فكان جوابه: أنت ما نظرت لها بعيني، أنا الذي أرى هذا الجمال!.

والثاني: الجمال الباطني المرتبط بعالم الأرواح:

إن هذا الجمال يعطى للمؤمن، وخصوصا للذي يلتزم بصلاة الليل.. فالزوجان إذا التزما بصلاة الليل، فيما التزما به، في الليلة الأولى من الزفاف، وصار بناؤهما على الاستمرار بذلك، ولو بالحد المختصر الأدنى، فلا شك أن ذلك يوجب لهما كسب هذا الجمال.. ومما يفهم من روايات أهل البيت (ع) أنه الجمال الحقيقي، ولا يقاس به جمال الوجه، ولون البشرة، ونعومة الشعر وما شابه ذلك، وذلك لأمور:

أولا: أنه جمال ثابت: فما يعطى للعبد من الجمال الروحي والنور، لإقامته لصلاة الليل، يبقى معه في الدنيا، وعند الاحتضار، وفي البرزخ، وفي القيامة.. وروي أنه سئل الإمام زين العابدين (ع): ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجها؟.. فقال: (لأنهم خلوا بربهم فكساهم الله من نوره).

وثانيا: أنه جمال لا يمل منه: بخلاف الجمال الظاهري الذي مع مرور الأيام والتكرار، يصبح مملولا منه، فكل نعيم دون الجنة مملول منه.

وثالثا: أنه جمال كسبي: إن الجمال الظاهري، جمال يرسم في عالم الأجنة والأرحام، فمن ولد قبيحا لا يصبح فيما بعد جميلا.. ولكن الجمال المعنوي، أعمق وأدوم، واختياري، وهو الصفة الجاذبة.. فقد يكون الإنسان من أقبح الناس روحا، ولكنه في ليلة من الليالي، يصبح من أجمل الناس روحا.. وأقرب مثال على ذلك: هو الحر بن يزيد، فما اكتسبه في يوم عاشوراء، ما اكتسبه في ليلة التاسع، ولا قبل ذلك، بل كانت لحظات وإذا هو كسب النعيم والخلود الأبدي، بما اكتسبه من جمال روحي في تلك اللحظات.

إن الإنسان من الممكن في لحظات أن ينزع منه رب العالمين بشرته الروحية القاتمة القبيحة، ويستبدلها ببشرة من أجمل أنواع الجمال البشري الروحي، المرتبط بالجمال الإلهي.

س2/ إن الزهد في الدنيا من الأمور اللازمة التي لا تنفك عن المؤمن.. فكيف يمكن الجمع بين الزهد في الدنيا، والتلذذ بما أحله الله تعالى لنا؟..

لا بأس بالتلذذ بعناصر الدنيا، عملا بقوله تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ}.. إن هناك فرقا بين التلذذ الطبيعي والبشري والأنس والارتياح الباطني، وبين أن يكون الإنسان أسيرا للذائذ.. فالإنسان عندما يأكل الفاكهة، فمن الطبيعي أن يعيش حالة من حالات الارتياح، ولكن لا ينبغي أن يجعله ذلك، أسيرا لهذه اللذة..

أولا لأن هذه التلذذات مؤقتة، ولا توجب الأسر، فالإنسان مادام يأكل يتلذذ، ما دام مع زوجته يتلذذ، ما دام على فراش وثير يتلذذ.. ولكن هذه لذائذ فانية، ومتقطعة، وتسلب حتى في الدنيا.. مثلا لو أنه كان على مائدة شهية، فمدتها نصف ساعة، وبعد الفراغ من المائدة وقيام الكل، ليس هنالك إلا ثقل المعدة والتجشؤ والغازات وما شابه.. وكما ورد: (ليس الزهد أن لا تملك شيئا، بل الزهد أن لا يملكك شيء)، فالمطلوب هو عدم التعلق الزائد بعناصر المتاع الدنيوي، إلى درجة الوقوع في الأسر.

ثم إن المؤمن لا ينظر إلى اللذائذ الدنيوية، بمنظار التلذذ البحت، بل إنه يتزود بها لآخرته، كما ورد: (المؤمن يتزود، والكافر يتمتع).. هناك فرق بين المتعة المجردة، وبين المتعة التي هي مقدمة لأمر آخر.. لا ينكر أن المتزوج يتمتع بزوجته، ولكنه ينوي بذلك إنجاب ذرية صالحة، تكون صدقة جارية له بعد موته، فحتى يصل لهذه الذرية الصالحة، لابد أن يتمتع، فالمتعة مقدمة للتزود للآخرة.. وكذلك الصائم عندما يستيقظ لأكل طعام السحور، فهو يهيئ نفسه لصيام ذلك اليوم. إن هذا هو الفرق بين تلذذ المؤمن، وتلذذ غير المؤمن.

س3/ إن الجمال الظاهري للبعض من الأمور المهمة، وعنصر جذب وربط، في الحياة الزوجية.. ومن المعلوم أن هذا الجمال مع تقدم العمر مآله إلى الزوال.. فما هي النصيحة لهؤلاء؟..

كما ذكرنا آنفا إنه إذا كانت عين الرجل، منصبة على الجمال المادي والبشري، فهذا الجمال مع الأيام يزول، ومن ليلة الزفاف يبدأ العد التنازلي لبهجة الحياة الزوجية المادية، ففي كل يوم يمر، يتناقص الجمال، وتزداد التجاعيد.. أضف إلى أنه مع التكرار في النظر، يتعود الإنسان على هذا الوجه الجميل، فيصبح أمرا عاديا مألوفا، ويصل إلى درجة أنه لا يرى فيه جمالا.

إن الذي يبقي العلاقة الزوجية، علاقة وطيدة إلى آخر العمر، بل تزداد عمقا وارتباطا، إذا كان الزوجان يعملان بقوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً}.. والملفت أن الآية لم تذكر إلا المودة والرحمة والسكون، وهذه معان قلبية مجردة، غير متقومة بالمادة.. ومعنى ذلك، أن تقادم الأيام لا يؤثر فيها، فالأيام إنما تؤثر في الجلد والبشرة والشعر واللون، أما المودة والرحمة فلا تؤثر فيها، بل إنها تزيد.. وأقرب مثال يؤكد هذه الحقيقة، ما نلاحظه على الأم حديثة الولادة، إذ عندما تنظر إلى وليدها المولود من يوم أو يومين، فإنها تعيش حالة من التعلق به، وتحمل له المودة والرحمة، وهذه الحالة في ازدياد مع الأيام، وخاصة إذا رأت ما يربطها بالولد، وعندما يصبح الولد في سن الزواج، وهو مؤمن صالح.

فإذن، إن الحل لإبقاء جذوة الحياة الزوجية، مشتعلة ومستعرة، هو التأكيد على البعد المعنوي في الحياة الزوجية، الذي أشارت إليه الآية الكريمة.
وأن يعلم أن هذه العلاقة، علاقة مستمرة إلى أبد الآبدين.. فعلاقة المؤمن بغير المؤمنة الجميلة، علاقة مؤقتة، وتنتهي بالقبر، حيث هي تعذب في النار، وهو ينعم في الجنة، فالعلاقة علاقة افتراق بالموت.. أما المؤمن والمؤمنة، ففي يوم القيامة رب العالمين يجمع بينهما، كما وعد في القرآن الكريم: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ}، حتى أن العبد يسأل عن خادمته لتكون معه.

فعليه، إن الذي ينظر إلى الزوجة على أنها صديقة الأبد، لا صديقة الدنيا، وشريكة العمر الخالد، لا شريكة العمر الدنيوي؛ فلا شك أن العلاقة بينهما تصبح أكثر عمقا وجاذبية.

9. التوافق الثقافي[9]

لا مانع من الزواج فيما لو كان الزوجان في سنين متطابقة أو متقاربة، مع وجود شيء من التوافق الثقافي والمزاجي.. فالملحوظ أن الفارق الشاسع بين مستوى الزوجين في المجال العلمي والثقافي، مما يوجب شيئا من الإرباك في الحياة الزوجية، لعدم وحدة لغة التفاهم والتخاطب بينهما، مما يعمّق هوة الخلاف عند أدنى مثير في الحياة الزوجية.

---

[9] التوافق الثقافي

س1/ ما هي نصيحتكم لمرتادي المعاهد الثقافية؟..

لا يخفى أن مسألة الثقافة في هذه الأيام أصبحت متاحة ومطروحة للجميع، نظرا لهذا التطور السريع في وسائل المعرفة، فالعالم أصبح بمثابة القرية الواحدة، ومن الصعب جدا أن نقيد صنفا من المجتمع كالنساء مثلا، بعدم دخول الميادين الثقافية، فتوفر أجهزة التلفاز ووسائل الإعلام والصحافة والكتب، تجعل المرأة أيضا تتمنى أن يكون لها دورا رياديا، في عالم المعرفة والثقافة.

وهناك ثلاثة اتجاهات: اتجاهان متطرفان واتجاه وسطي:

الاتجاه الأول: الذي يريد أن يحد من قدرات المرأة تماما، ويجعلها حبيسة البيت؛ لأنه يعتقد أن المرأة ليست لها القابلية إلا لمسألة الإنجاب وتربية الأولاد.. فهذه وجهة نظر مطروحة، ولو لدى أقلية من الناس.

والذي يتمسك به أصحاب هذا الاعتقاد-مع أن اعتقاده قد يكون خلاف المتعارف في المجتمع- أن ما يفهمه من مذاق الشريعة، هو أن المرأة دائرة نشاطها متحددة في تأسيس جامعة الأولاد، وتخريج كوادر تكون صدقة جارية لهما إلى الأبد.

الاتجاه الثاني: الذي يلغي كل الحوائل والعوازل بين المرأة والرجل.. والأمر يصل بالبعض إلى أنه ينكر حتى الأحكام الشرعية، التي فيها تمييز بين المرأة والرجل، كعدم التساوي في الإرث، وعدم إرث الزوجة من الأرض والعقار، ووجوب استئذانها من الرجل للخروج من المنزل.. ويحاول أن يلغي كل هذه الفروض.

الاتجاه الوسطي: الذي يرى بأن الأفضل للمرأة أن تحصر نشاطها في داخل المنزل، ولكن ليس بمعنى التقوقع في المنزل، والانقطاع عن العالم الخارجي، فإن المرأة هذه الأيام مع توفر وسائل المعرفة والثقافة، بإمكانها أن تجتاز دورات علمية وثقافية وهي في المنزل.. وإن كانت المرأة لديها الرغبة في التثقف، والعمل على صعيد المجتمع، والخروج من دائرة الأسرة، فلتحاول الجمع بين الثقافة والتثقف، ومراعاة الحدود الشرعية، وعدم الوقوع في المحذور من الاختلاط بالرجال وما شابه ذلك.. لأن المرأة بطبيعتها في معرض الافتتان، وجلب الرجال.. فهي كالوردة، وعندما تخرج من

المنزل، فإنها بطبيعتها تستجلب أنواع النحل، بينما أن النافع لها من هذا النحل والمطلوب هو واحد فقط، وهو الزوج المستقبلي، أما البقية فكله نحل سام وضار.. وإلا أن تلغي الحدود، وأن يأتي كل إنسان ويشمشمها، ويأخذ من رحيقها، فهذه ظاهرة انحرافية كبيرة.

فإذن، إن النصيحة لمن تريد أن تدخل في هذه المعاهد الثقافية، أن تحرز هذا المعنى.. وإلا أن يدخل الإنسان في أعماق البحر أو دوامات البحر، بادعاء أنه يتعلم السباحة في الأثناء، فهذا كلام لا يقبل!.. إن الذي يرمى في المحيط وفي قلب الدوامة، لا يعول على معلوماته الأولية في السباحة، بل يحرز من نفسه أنه بإمكانه أن يقاوم، فهذا يمكنه الدخول في الدوامة، وإلا فالأحوط له عقلا وشرعا، التوقف في مواطن الشبهة.

س2/ من المعلوم أن قدرات الإنسان محدودة، ووقته وعمره أيضا محدود، فلا يمكنه أن يستوعب جميع العلوم.. فما هو سلم الأوليات لمن يريد التثقف، ويرفع من مستواه الثقافي والعلمي؟..

هناك بحث مفصل حول حديث: **(طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)**، بأنه: ما هو المراد من هذا العلم؟.. هل أنه كل العلوم طلبها فريضة؟.. أم البعض منها من العلوم التي تتوقف عليها السعادة الأبدية، وما تقرب الإنسان من الله تعالى؟.. فالبعض يقول فإذا لم يكن كذلك، فكيف نوفق بين طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وبين علم الفيزياء مثلا؟!.. إلا إذا دخلنا من باب الوجوب الكفائي.

وعليه، إن من اللازم للمؤمن أن يراعي سلم الأولويات في مجال التثقف، ويجعل أولا، ما يرتبط بالدين، الذي هو أساس لسعادة الأبد.

ففي الدرجة الأولى، ينبغي تعلم الفقه، بمعنى تعلم المسائل الأولية التي هي موارد الابتلاء.. لو أن الإنسان يقرأ القرآن الكريم، وهو لا يعلم معاني الكلمات، فبإمكانه أن يتعلمها لاحقا، ولا إشكال عليه.. ولكن الذي يغتسل غسلا باطلا، أو يتوضأ وضوء باطلا، ثم يكتشف البطلان، فإن هذا تجب عليه الإعادة المرهقة لسنوات.. بينما مطالعة صفحة الغسل في المسائل المنتخبة، لخمس دقائق، تغنيه عن هذه الإعادة.. لو أن الإنسان يشتري له دابة جديدة، لابد له أن يطالع دليل التشغيل، ليعرف كيف يسوقها.. فكيف إذا أراد الإنسان أن يسوق نفسه، في هذه الحياة، ألا يحتاج إلى دليل؟.. والدليل هو عبارة عن الرسالة العملية، بشقيها العبادات والمعاملات.. فالتجار مثلا يحتاجون إلى قسم المعاملات، لئلا يرتطموا بالربا، كما ورد: **(من اتجر بغير فقه فقد ارتطم بالربا)**.

ثم تعلم كلام رب العالمين.. لأن الإنسان على صلة بالقرآن دائما، فهو يقرأ القرآن ولو في شهر رمضان المبارك مثلا، فلابد من اطلاعة أولوية على المفردات، ثم على المعاني المفصلة.

ثم الاطلاع على سيرة أهل البيت (ع) النبي وآله.. والكتب هذه الأيام كثيرة، والبعض منها في مجلدين تعرض سيرة الأئمة الاثني عشر، مع جدهم المصطفى (ص) والزهراء (ع).

ثم إن أراد أن يتوسع في الثقافة، فعليه أن يتوجه للكتب الأخلاقية، التي يمكن أن تفتح له الآفاق التكاملية.. فهو بالرسالة العملية أحرز انضباط حركة الجوارح، الفقه الأصغر، وبهذه الكتب الأخلاقية يضمن الفقه الأكبر.
هذا تقريبا مجمل السير العملي للفتاة المؤمنة، وللفتى المؤمن.

س3/ كيف يمكن حل الخلافات بين الزوجين، مع وجود حالة من الأفكار المتضاربة بينهما؟..

يمكن أن نقول أن هذا من سلبيات الحركة الثقافية، ووجود المعاهد والجامعات.. ويتفق أن يكون الزميلان في الجامعة، مشروعان للزواج، وهناك تقارب في المستويات الثقافية والفكرية، وقد لا تكون الزوجة بأقل من الزوج في المناظرة، ومن هنا يبدأ الخلاف بين الزوجين.. بعكس الملاحظ على الأزواج في القرى والأرياف، فقد لا يكون هناك مجالا للخلاف الكثير، أو إذا كان الزوج في مستوى ثقافي رفيع، والزوجة في مستوى متدن.. ولكن وجود-كما قلنا- زوجين زميلين، في نفس التخصص، وفي نفس الجامعة، وأحدهما لا يعلو على الآخر في الثقافة، يسبب المشاحنة بينهما.

ومن الطرق لحل الخلاف بينهما:

التفاهم بين الزوجين:

إن خير علاج في هذه الحالة، هو العمل بقوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}.. فإن الزوج الذي يريد أن يفرض أفكاره على الزوجة، وكأنها قرارات إلهية، بلا دليل، لا شك أنه سيواجه من قبل الزوجة.. فينبغي للزوج أن يفرق بين فرض الأوامر الإلهية، وبين غيرها من الأوامر الشخصية.. فإذا كان منشأ الخلاف، اعتراض الزوجة على حكم شرعي، فهنا يمكن للزوج أن يبين لها بأن هذا حرام، وأنه ليس عنده دليلا على فلسفة الحكم، ويلزمها بتطبيقه..
ولكن إذا كان منشأ الخلاف، قضية شخصية، مثلا هو يريد أن يأخذها إلى بلد معين، أو يلبسها ثوبا معينا، أو غيرها من الأمور والقضايا التي هي في دائرة الحرية الشخصية، فهنا لابد أن يأتي بدليل وببرهان يقنعها.. وعلى فرض أنه صارت هنالك مشاحنة في البين، فعلى الزوج أن يعمل ولايته، بمعنى حكومته العائلية وقيموميته، ولكن أيضا في ضمن غلاف عاطفي..
فإن كان ولابد من الفرض، فينبغي أن يكون في إطار محبب، بحيث أن الزوجة لا تستنبط أو لا تستوحي أن هناك تحكما في البين.. ومن المعلوم أن الإنسان يمر في حالات متقلبة، وخاصة المرأة فالمعروف أن التقلبات عندها كثيرة، فلها حالات إقبال وإدبار وحب وكره لنفس الشيء، فالزوج ينبغي

أن يكون له جهاز تحسس واستشعار، لحالات المرأة، فلا يجادلها وهي في حالة انهيار عصبي، ولا يجادلها وهي كارهة له لموقف من المواقف، بل عليه أن يتخير الوقت المناسب، ومن الممكن في إطار عاطفي حل الخلاف.

والاستعانة بالمؤثرات الخارجية:

وهذه النصيحة لكل من يريد أن يدخل في نقاش، يخاف من عواقبه، حتى لو كان كلام المسؤول مع رئيس العمل، وذلك بأن يصلي ركعتين بين يدي الله تعالى، ويدفع صدقة، ثم يقول: يا رب!.. لين قلب فلان.. فكما أن رب العالمين لين قلب فرعون لموسى (ع)، أيضا يلين قلب هذا الشخص لك أيضا؛ فالرب هو الرب، والقلوب كلها بيده.

فإذا أثبتنا حسن النية، واستعنا بالمؤثرات الغيبية، وترصدنا الأوقات المناسبة، فمجموع هذه الأمور يؤثر في فض الخلاف الزوجي إن شاء الله تعالى.

س4/ إن الكثير من الأخوات يشتكين من بعض الأزواج الذين لا يقيمون الصلاة، ويخشين أن هذا مما يؤثر سلبا على حياتهم الزوجية.. فما هي نصيحتكم لهؤلاء؟..

إن الحب الزوجي والمودة التي جعلها الله تعالى، في اليوم الأول من الزواج، من الطبيعي أنه يسلب عن طريق المخالفة، ومن أعظم المخالفات، عدم إقامة الصلوات الواجبة.

10. خضراء الدمن[10]

لا بد من الالتفات إلى التعبير بـ (خضراء الدمن) فيما روي عن النبي (ص)، وهي المرأة الجميلة في منبت السوء؛ فإن المنبت العائلي لـه دور فعال في سلوكيات المرأة، قبل الزواج وبعده.. إذ أن التأثير اللاشعوري للوالدين في حياة الأبناء، مما لا يمكن إنكاره، حتى في السنين المبكرة جدا، فكيف في سنوات المراهقة والرشد؟!.

---

[10] خضراء الدمن

س1/ من المعلوم أن الروايات تشدد على ضرورة حسن اختيار الزوجة، وتحذر من خضراء الدمن.. فكيف يعرف الإنسان المؤمن الزوجة التي تناسب له؟..

إن هذا السؤال يعتبر سؤال استراتيجي ومهم؛ لأن كل السلبيات المترتبة في الحياة الزوجية، إنما هي نتيجة لعدم اختيار الزوجة الفضلى والأقرب للمثالية.. ونقول الأقرب للمثالية؛ لأن الزوجة المثالية غير موجودة في الحياة الدنيا، كما أن الزوج المثالي غير موجود في الدنيا أيضا.. فالزوج الذي يشتكي من عدم زوجة مثالية له، لو سئلت زوجته لكانت هي أيضا تشتكي من عدم زوج مثالي لها أيضا!..

هناك سبيلان لاختيار الزوجة التي هي أقرب للمثالية:

الأول: تحكيم الضوابط الشرعية بعد مراجعة أهل الحل والعقد والخبرة في هذا المجال:

إن التشديد على ذات الدين، وعندما نقول: (عليك بذات الدين تربت يداك)، قضية ليس فيها مجاملة ولا روحانية، وإنما هي قضية واقعية؛ لأن ذات الدين هي خير من يعين الإنسان في دينه ودنياه، ولا يُخاف منها، فذات دين يعني ذات خلق وعفة وأمانة، ولا تخرج من طورها، ولا تطالب الزوج بما لا يجوز شرعا..

وقد قلنا في حلقات السابقة بأن المطلوب في الجهات الشكلية والجمالية، هو الحد الأدنى.. وإلا لو كانت المرأة حائزة على معظم الدين وبشيء من الجمال المقبول، فهذه لا تقاس بامرأة حائزة على درجات الجمال، وملكة جمال الأرض–كما يقال– ولكنها بشيء من الدين لا يعتد به.

وينبغي أن تكون الزوجة تقبل بالحكمية الشرعية، بالمعنى التي تشير إليه الآية الكريمة: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا}.. فإذا كان الدين هو الحكم فيما يحصل بين الزوجين من خلاف، فإن الخلافات تذوب في بوتقة الحكم الشرعي، وكأن الشرع بمثابة جهاز يصهر كل خلاف يوضع فيه.

والثاني: الدعاء الحثيث:

لو أن الشاب في أيام المراهقة كان مستقيما في سلوكه، بدلا من الانشغال بالأباطيل والانحرافات الأخلاقية في مجال النساء، وألح في الطلب من ربه–لكونه مستقيما ويعبد ربه في خضم فوران الشهوات– فلو أن هذا الشاب المراهق المواظب على الصلاة في المسجد، دعا ربه قائلا: يا رب أنا لم أنظر إلى الحرام البليغ، ولم ألمس امرأة قط بحرام، يا رب عوضني خيرا بزوجة صالحة مناسبة، {رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ}؛ فإن هذا دعاؤه قطعا مستجاب. ومن المعلوم أن طلب الذرية الطيبة يستبطن طلب الزوجة الصالحة؛ لأن الذرية الطيبة هي من الزوجة الصالحة، ومن طلب الأثر طلب المؤثر.

ومن الأدعية التي يستفاد منها لقضاء الحوائج الكبيرة ومما يخاف منه، هو دعاء: (يا من تحل به عقد المكاره).

والإكثار من هذه الآية: {رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ}، في مواطن الاستجابة، كالسجود والقنوت.

وكذلك–كما ينقل عن بعض العلماء الكبار– إن الالتزام بصلاة جعفر الطيار، من المجربات أيضا لأجل حل هذه المشكلة.

فإذن، إن الدعاء الحثيث في هذا المجال، أيضا من موجبات الوقوع على فرد صالح.. وقد سمعنا بعض القصص عن بعض الزيجات، وكيف أنها توفيقات واضحة جدا، وكأن رب العالمين نسق فيما بينهما، وساقهما عبر قنوات عجيبة وغريبة، إلى أن وصلا إلى ما يريدان.. كما أن رب العالمين يوفق بين الزوجين، وهما مختلفان على وشك الانفصال، إذا كانا يريدان الإصلاح، فبطريق أولى أن يكون هذا التوفيق قبل الخلاف.

س2/ لو ارتبط الإنسان بزوجة لها ملكات سيئة، فهل يمكن تغيير هذه الملكات؟..

إن البعض له نظرية، يمكن أن نعبر عنها بأنها مؤيسة، حيث يقول بأن الملكات لا تتغير.. فمثلا: إذا كان إنسان قد جبل على البخل، فعليه أن لا يتمنى أن يكون في يوم من الأيام إنسانا كريما، وهكذا الجبان وبقية الصفات السلبية..

ونحن لا نقبل بهذه النظرية، ونقول إن الملكات يمكن أن تتغير، وذلك بدليل وجود من كان على ملكات غير طيبة وانقلب وتحول عنها، فهذا أولا..

وثانيا: إن الملكة تترسخ من تكرار الممارسة.. فالإنسان عندما يولد لا يولد بخيلا ولا جبانا ولا مجرما ولا كذا، وإنما هو لتكرار الممارسة أو لمعايشة الغافلين من الذين لهم هذا الجو، جعله يعيش هذه الملكة.. وكما أن الملكة السيئة جاءت من الأفعال السيئة، فإن من الممكن التغيير بالعمل بما

يخالفها.. ومن المعلوم في عالم الفقه بأن الحيوان الجلال الذي تربى على أكل النجاسة، إذا استبرئ فترة وأطعم حلالا، ترتفع عنه صفة الجلل المسببة للحرمة، ويخرج من كونه حيوانا جلالا..
فإذن، إن الملكات أيضا يمكن أن تتغير إذا عمل الإنسان بعكس ما تقتضيه الملكة السلبية، فإذا خالفها فمن الممكن أن يصل إلى مرحلة الملكات الطيبة.

س3/ هل إن مستوى الزوجة الروحي والفكري، له تأثير على تربية الأولاد؟..

بلا شك، وإن التأثير تأثير حاسم.. ومن المعروف أن المرأة المرضع إذا كانت في حالة غير طبيعية، كأن تكون في حالة غضب أو حزن أو أذى، فإن ذلك ينتقل إلى الرضيع من خلال اللبن.. فإذا كان اللبن الذي هو عنصر من عناصر هذا الوجود، ينقل بعض الصفات، فكيف بسلوك الأم، وكيف بنظرة الأم، وكيف بجيناتها الوراثية؟!.. فبلا شك إن الذي يريد الذرية الصالحة، فقبل ذلك لابد أن يهيئ لنفسه المرأة التي تكون حضنا مربيا لأولاده.. ونحن نعتقد بأن أنفاس الأم الصالحة ووجودها ونظرتها، مؤثر ومن الممكن أن تربي الولد، ولو أن الأم لم تباشر الولد كثيرا.

ولهذا نقول للبعض عندما يتزوج بامرأة صالحة ولكنها فقيرة، أو غير جميلة بالمعنى الدقيق للكلمة، أو يعير من قبل البعض بأنك لم تأخذ من عائلة غنية ومتمكنة: إن من الأشياء التي تطمئنه أو تهدئ من روعه، هو أنه تزوج بمن تكون مصنعا لذرية صالحة.. فهذا ألا يطمئن الرجل، بأن ينظر للزوجة على أنها أداة تخريج أولاد صالحين، بدلا من أن تكون أداة للاستمتاع؟!.. لأن الجمال من موجبات الاستمتاع الزائد، والعائلة المترفة أو الغنية من موجبات أن يقتنص من ثروتها، أو إذا هي ماتت يأخذ من إرثها.. ولكنه عندما يأخذ امرأة مؤمنة، فقد أحرز من تنتج له الأجيال الصالحة، وهذا خير مكسب في هذا المجال.

11. اختيار مدرسة للأجيال[11]

اختاروا لنطفكم فإن العرق دسّاس.. فمن أجل سلامة الجيل الذي سينتج من الزواج، لا بد من الاختيار الدقيق لمن تكون مدرسة للأجيال اللاحقة.

فعليه، فلا بد من النظر إلى الزوجة، على أنها هي المربية لأفلاذ كبد الإنسان.. فحب الإنسان لذريته–وهو أمر فطري أصيل– يستلزم حسن الانتقاء لمن ستربي هذه الذرية، التي هي من الصدقات الجارية بعد الوفاة.

---

[11] اختيار مدرسة للأجيال

س1/ ورد في الحديث: (اختاروا لنطفكم؛ فإن العرق دساس).. كيف نعد المرأة لأن تكون مربية لجيل صالح؟..

إن أهم ثمرة من ثمار العش الزوجي، الذرية الصالحة؛ لأنها مرتبطة بالأبدية.. وأما الاستمتاع، والانشغال بالجمال، والأنس الزوجي المتعارف، فله أمده، كما هو أمد كل متاع في الحياة الدنيا، فأمده إلى القبر وعالم البرزخ.. فالذي يبقى مع الإنسان في عالم البرزخ والقيامة، ما يتعلق بالذرية، كما ورد: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ينتفع به، وصدقة جارية، وولد صالح يدعو له).

فالعمل على تربية ولد صالح، يدعو للإنسان، لمن أفضل أنواع الاستثمار.. وقد يكون هذا الولد الصالح، على رأس سلسلة من الأولاد والأحفاد إلى يوم القيامة، فيكون صلاح الجد الأول، من موجبات صلاح الملايين من نسله.

وأما عن كيفية إعداد الأم لتربية أولاد صالحين، فإن هذا يكون من الأيام الأولى قبل اختيار الزوجة.. فالشاب الذي يريد الاقتران بفتاة، فينبغي أن يراعي عدة أمور، ومنها:

أولا: خلو المرأة من عناصر التوتر:

إن من الضروري أن ينظر إلى منبت هذه الفتاة، أي إلى رحمها وتربيتها وثقافتها، فبعض صور انحراف الأولاد أو توتر الأولاد وعقوقهم، مترتب على حالة القسوة والعنف والتوتر في الأم.. فأنت عندما تقترن بامرأة في منتهى الجمال والمال، ولكنها امرأة غير مستقرة نفسيا، وعاشت اضطرابات في جوها الأسري مع الأبوين، فإن هذا التوتر سينتقل إلى البيئة الأسرية، إلى الزوج والأولاد.

ثانيا: خلو المرأة من حالات التمرد على الشريعة:

إن بعض الشباب يقترن بفتاة غير ملتزمة بحجابها، بدعوى أنه سيغيرها ولو بعد حين، ثم يتفاجأ أنها امرأة لا تصلي ولا تصوم ولا تلتزم بالحجاب، وأنها امرأة متمردة على الشريعة.. ومن الطبيعي أن مثل هذه المرأة، التي لا يؤمن على دينها، لا يمكنها أن تكون حضنا مربيا لولد صالح.

ثالثا: أن تكون المرأة ذات نَفَس مبارك:

إن هذا الكلام قد لا يعد علميا بالمعنى الدقيق، ولكنه واقع، وهو ما يعرف بالتأثير الروحي للبعض.. إن بعض الأشخاص عندما تعاشره، فنَفَسه نَفَس مرب، ووجوده مرب، فنور باطنه يؤثر فيما حوله؛ والعكس، فبعض الناس فيه ظلمة، وهذه الظلمة مؤثرة أيضا.. ومن اللطيف أنه حتى الطعام يكتسب نكهته من نَفَس الطابخ لهذا الطعام، فنَفَس المؤمنة الصالحة حتى يؤثر في الطعام الذي تطبخه. فإذن، إن بعض أنفاس الأمهات، حقيقة أنفاس مباركة ومؤثرة في هذا المجال.

س2/ ماذا تفسرون انحراف بعض الأبناء، رغم وجود الأجواء الصالحة لتربيتهم؟..

إن التربية الصالحة والمنبت الصالح، ليست بعنوان العلة التامة.. بل كما نلاحظ في عالم الزراعة، إذ يتفق أن شخصين لهما نفس الحقل ونفس التربة ونفس البذرة، وواحد تثمر شجرته ثمرة طيبة، والآخر لا تثمر.. فمسألة التربية ليست هي كالتفاعلات الكيميائية، من حيث النتائج القطعية، فعندما تأتي بجزيئات الهيدروجين والأوكسجين، فالنتيجة قطعا هو الماء.. ففي عالم التربية حتى لو أن الإنسان عمل بكل آداب ليلة الزفاف، وآداب التربية، والإرضاع.. ولكن يبقى احتمال انحراف مسرة الولد وارد، نتيجة تأثره بالمجتمع وبالمحيط الخارج عن الأسرة، بالمدرسة ووسائل الإعلام والفضائيات.

نحن لا نعلم بالضبط ماذا جرى لابن نبي الله نوح (ع)، فنوح (ع) من أنبياء أولي العزم، ومن الأنبياء العظام، وهو أكيدا ما قصر في تربية ولده، ولقد كان حريصا على نجاته، حتى وهو يغرق: {وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ}.. نحن لا نعلم ما الذي كان عليه ابن نوح (ع)، ومن الممكن أن يكون أصدقاء السوء، هم الذين جعلوه ينحرف عن شريعة أبيه، نبي الله نوح (ع).

فإذن، إن سر انحراف الأولاد لاحقا، هو تأثرهم بالمؤثرات الخارجية.. ومن هنا ينبغي للأبوين الصالحين أن لا يعولا على تربيتهما، ويقولا لقد دعونا له، وربيناه، وأخذناه لبيئ الطاعة وللمساجد.. فبالإضافة إلى ذلك، لابد من تجنيبه البيئ الفاسدة.. لا أن يلقى في اليم مكتوفا، بدعوى أنه سيسبح ويخرج!.. فإن طبيعة الانغمار في دوامة البحر، أنها تغرق!.. وهذا يتفق كثيرا، فبعض الشباب عندما يتخرج من الثانوية العامة–والمتعارف في سن الثامنة عشرة– يلقيه الأبوان للغرق في بلاد الغرب، وعندما يقال لا ترسلاه إلى بيئ أنتما لا تضمنان استقامته فيها، فدعواهما أنه نحن اتقنا

تربيته، ولا يخاف عليه.. ولكن تلاحظ في مقام العمل وفي الأسبوع الأول من ذهابه، وإذا به يفقد الكثير مما كان عليه من الالتزامات.
فإذن، إن من موجبات الانحراف، الأمور الخارجة عن دائرة الأسرة، وهي كثيرة هذه الأيام.

س3/ على فرض أن الابن انحرف، فهل يمكن في سن متأخر تدارك فساده واستنقاذه، وتحويله من ولد عاق إلى صدقة جارية؟..

بلا شك.. إن طريق المحبة والعاطفة، لمن أفضل الطرق لاحتواء الطرف المقابل.. الآن لو فرضا أن الولد عصا أبويه، وتعرب بعد الهجرة، ورجع-بعد مضي مدة من العمر- فاقدا للمقومات الإيمانية، ومتزوجا بامرأة ليست على ملته؛ فالأبوان من الممكن أيضا أن يعملا على استنقاذه، بالكلام الحكيم، كما يقول القران الكريم: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}.

إن البعض من الأولاد قد لا يستمع لأبويه، وخاصة في فترة من العمر، وهو في سن فوران الشهوة والغريزة والعاطفة، حتى بعد بناء العش الزوجي، وبعض الأولاد إلى سن الأربعين، وهو قد يعيش حالة التمرد على والديه.. ولكنه بعد أن يهدأ، ويجرب الحياة بحلوها ومرها، وتذهب فورة الغرائز، يحب أن يرجع إلى أحضان أبويه، كما لاحظنا بعض الأولاد، وخاصة في قسم البنات.. إلا أن بعض الآباء كأنه في مقام الانتقام من الابن، فيواجهه مواجهة قاسية، بأنه مادمت خرجت مني فلا تعد، وأنا لست بأب لك، وأمثال هذه التعابير.. والحال بأن الأب العاطفي والأم العاطفية، هم من يبادرون في استنقاذ الولد، ولا ينتظرون الإشارات منه، حتى يستجيبا لإشارات الولد الآبق أو العاق لهما.
إذن، إن من الممكن للأبوين ذلك، كما وقع في التاريخ كثيرا، حيث كبار المجرمين والفسقة رجعوا إلى رشدهم، بحركة عاطفية من أحد العلماء، والقصص في هذا المجال كثيرة.

إن الأب الصالح من الممكن أن يضرب على هذا الوتر، ويعيد الابن إلى رشده، وخاصة مع الدعاء الحثيث في استنقاذ الولد.. هناك عمل يسمى بعمل أم داوود، يلتزم به المؤمنون عادة في منتصف شهر رجب.. وبعض الآباء والأمهات يلتزمون بهذا العمل، بنية استرجاع أولادهم من أحضان الرذيلة والانحراف، ولسان حاله: كما أن أم داوود ابتليت بفقد ولدها في سجون الظالمين، فأنا ابني ذهب إلى بلاد الغرب، ووقع في سجن الهوى، يا ربي!.. أنا ليست طلبتي استنقاذ ابني من السجن، وإنما طلبتي استنقاذه من الهوى الذي هو عاكف عليه.
ومن المناسب أيضا المداومة على صلاة الأولاد، وهي ركعتان خفيفتان: في الأولى بعد الفاتحة سورة القدر، وفي الثانية سورة الكوثر، تصلى في الليل للأبناء، وفي النهار للآباء.

ومن الأمور النافعة أيضا، الإكثار من قول الأبوين–قبل الولادة، وحين الولادة، وبعد الولادة–: {رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}.

12. قيمومية الرجل[12]

إن قيمومية الرجل على المرأة، لا تعني التحكم المطلق والتعسف في إدارة شؤون الأسرة.. فالولاية المطلقة إنما هي لله تعالى، ولمن جعلها لهم.. فلا بد من استعمال الرجل-كأمين مفوَّض، لا كحاكم مطلق- لتلك الولاية في الحدود التي يراها الشارع المقدس، وهو مطروح بتفصيل في كتب الفقه، يحسن بالزوجين مراجعتها.

---

[12] قيمومية الرجل

س1/ من منطلق قوله تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللَّـهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ}.. نريد أن نقف حول معنى قيمومية الرجل؟..

إن هذه الآية من الآيات التي قد لا يرتاح إليها كثير من النساء لولا التعبد الشرعي؛ لأن بعض الرجال يسيؤون الاستفادة من هذه الآية الكريمة، وهم سبب في تنفير النساء من تشريع قيمومية الرجل للمرأة.

إن قيمومية الرجل للمرأة، ليست كقيمومية الله تعالى، أي ليست بمعنى التحكم المطلق، إنما هي قيمومية تنظيمية ومحددة بحدود.. ومن المعلوم أن الواجب على المرأة فقهيا، هما أمران: التمكين، والاستئذان؛ وفيما عدا ذلك من الأمور، لم يقل أحد بلزوم تبعية الرجل تعبدا، في الجزئيات الأخرى الحياتية.

والملاحظ أن الآية ذكرت تعليلا لذلك، وهما أمران: التفضيل الإلهي، والإنفاق.. فالرجل هو مصدر قوت للعائلة، وما دام هو الذي يتعب من الصباح إلى الليل ليكد لعياله؛ فإن له الحق في إدارة شؤون الأسرة.. وكون الرجل له حالة من حالات الجدية في الحياة، والتحكم في العاطفة، والخبرة في مقام مواجهة المشاكل وإدارة الأزمات؛ فإنه أقرب إلى حل المشاكل من المرأة.

ولكن هذا كله لا ينافي أن يجعل الرجل زوجته مستشارة له، في شؤونه الحياتية.. فهذا النبي (ص) رغم اتصاله بالسماء، وأنه عقل الكل، ولكن الله تعالى يأمره بالمشاورة، إذ يقول تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ}.. لا مانع أن يكون الرجل أيضا له هذا الدور، فالرجل يحتاج إلى تقييم المرأة لبعض الأمور، وخاصة أن دقة ملاحظة المرأة أكثر من الرجل، فهو في الكليات أدرى وأفهم، بينما المرأة في الجزئيات أدق وأكثر ملاحظة.. أضف إلى أنها الأكثر خبرة والأعلم بقضايا الأولاد، لكونها هي التي معهم من الصباح إلى الليل، فلها القدرة على تقييم مزاج كل واحد منهم، وطبعه، وما ينفعه من القسوة أو اللين.

فإذن، إن معنى قيمومية الرجل، هي قيمومية إدارية وتنظيمية، لا قيمومية مطلقة والامتثال المطلق للأوامر والنواهي.. حتى أنه من ناحية فقهية-وهذه مسألة معروفة ولكن مع ذلك ترى الرجال يتجاوزون على هذه المسألة- إن المرأة لها الحق في التصرف بأموالها كما تشاء، وليس من حق الرجل أن يتصرف في مالها لشؤون الأسرة والإنفاق على الأسرة.. ولو كانت المرأة مستغنية وغنية، فعليه أن ينفق عليها على ما هي عليه من الغنى.

إن هذا التمييز من الله تعالى للرجل، له حكمة لقطع الخلافات، والقضية عقلية، ولهذا نلاحظ أن هذا المعنى موجود في روايات أهل البيت (ع)، كما ورد أنه لو سافرت جماعة إلى مكان ما، فليؤمروا عليهم أحدهم.. فاتخاذ أمير في السفر أمر منطقي، لأن طبيعة السفر أن يكون فيه خلاف، مثلا حول المنزل الذي ينزلون فيه وغيره، وإذا لم يحسم الخلاف، فلا شك أن هذه الرفقة ستتنازع فيما بينهم.
فالزوجان كذلك هما في سفر، وسفرهما طويل قد يستمر ستون سنة، ولابد عند الخلاف أن يكون هناك من يحسم، فإذا الرجل لا حق له في الحسم، والمرأة لا حق لها في الحسم، فإنه تبقى الملفات عالقة، ويتحول الخلاف مع الزمن إلى اختلاف وفرقة وعداوة.

وينبغي أن نلتفت أن القيمومية للرجل هي حق شرعي، كبقية الحقوق الأخرى كالتمكين وغيره، ولا ينبغي أن نفرط في الأحكام الشرعية، ولا يشترط في ذلك أن يكون الزوج مؤمنا، أو متربيا في مدرسة الدين..
ولكن هذه القيمومية ليست مطلقة، ففي إدارة شؤون العائلة الزوجة ليست ملزمة بأن تسمع كلام الزوج، في كل صغيرة وكبيرة.. وخاصة إذا كان الرجل متحكما ظالما غشوما، ولا يعرف المنطق، ولا يعرف الدين.. ولكن الرجل إذا كان متربيا في المدرسة الإسلامية الكبرى، يعرف الآداب كما يعرف الأحكام، ويعرف المستحبات كما يعرف الواجبات، فلا شك أن مثل هذا الرجل لا يخاف منه، ويتحول تلقائيا إلى مدير مطاع في العائلة.. ولهذا نحن نقول بتزويج البنت للمؤمن؛ لأنه مأمون من شره، فإن أحب الزوجة أحبها، وإن لم يحبها لم يظلمها.

فإذن، إن هذه القيمومية للرجل، قيمومية في ضمن إطار شرعي محدد.

س2/ ما هو تعليقكم على هذا الحديث: (شاوروهن وخالفوهن في الرأي)؟..
لا يمكن القول بأن المراد بهذه الرواية مطلق المخالفة، فكلما شاورتها خالفها، وإلا فمعنى ذلك أن المرأة لا عقل لها، وأن كل ما تراه مجانب للصواب.. ومن المعلوم أنه قبل القبول بمضمون أي

رواية، لابد من النظر إلى الصدر والذيل وظرف صدور الرواية.. ولعل هذه الرواية–والله العالم– صدرت في مورد معين كالحرب مثلا، فالمرأة عند الحرب من الطبيعي أنها لا ترضى بأن يذهب زوجها للمعركة.

وإلا فإن مخالفة المرأة في كل شيء، قطعا ليس من مزاج الشارع، فلابد من تقييد هذه الرواية بمورد، بأن يكون رأي المرأة من منطلق العاطفة، لا منطلق العقل والدين.. فإذا كان رأي المرأة من منطلقات غير شرعية، وغير مستندة إلى أساس شرعي، فلا شك أن المخالفة هنا تكون راجحة.. وأما القول بمطلق المخالفة، فهذا لا ينبغي القول به.

س3/ لو تورطت المرأة بزوج غير صالح، ليست عنده مؤهلات الإدارة للعائلة، ويسيء تطبيق القيمومية.. فهل في هذه الحالة، يمكن للمرأة أن تعين الرجل في مسألة إدارة شؤون المنزل؟..

الرضا بالموجود:

هناك مقولة من روايات أهل البيت (ع)، كثيرا ما أستعملها لحل المشاكل، وهي: **(إن لم يكن ما تريد، فأرد ما يكون)**..

إن المرأة إن لم تجد الزوج الذي كانت تحلم به، أو كما يعبر عنه بفارس أحلامها، فعليها أن تقبل بهذا الموجود، مع عدم وجود خط التراجع، فبعد العقد وبعد إنجاب الأولاد، تقريبا فإن طريق العودة طريق مسدود، ولا يمكن التفكير في هذا المجال إلا لفاحشة بينة.. وكذلك العكس، فالرجل قد يتورط بامرأة، ثم يكتشف عدم صلاحها بعد سنوات من المعاشرة.

ثم إن المرأة من الممكن أن تغير في الرجل إلى الأحسن، إذا استعملت الأساليب العاطفية الاحتوائية، وعندما لا تقف أمام الرجل بعنوان المواجهة والمصادمة، وتمتص غضبه، وتتحبب إليه.. فالمرأة بها زخم عاطفي قوي، ولها قدرة عاطفية قوية.. كما أن الرجل من الممكن أن يحتوي زوجته من خلال عقله؛ كذلك المرأة من الممكن أن تحتوي زوجها من خلال عاطفتها.. فسلاح الرجل عقله، وسلاح المرأة عاطفتها.

الاستمداد الغيبي:

إن علماء التربية في مثل هذه المسائل ينظرون إلى القواعد التربوية المحضة المجردة، ونحن دائما نضيف عنصر الغيب.. فمثلا إذا كان إنسان متورط بولد غير صالح، لماذا لا يداوم على صلاة الأولاد، بنية صلاح ولده.. أو امرأة متورطة بزوج غير صالح، فلتكثر من الدعاء له في ظهر الغيب.. تلك المرأة في زمن رسول الله (ص)، اشتكت إلى رسول الله (ص) زوجها شكوى بليغة، فالنبي (ص) جمعهما، ودعا لهما بألفة القلوب، وتفرقا على أعلى درجات المحبة.

فإن طريق التدخل الإلهي مفتوح دائما، وقلب العبد بين إصبعين من أصابع الرحمن، ومن هنا أمرنا أن ندعو: (يا مقلب القلوب والأبصار).. ما قال (قلوب المؤمنين)، بل (القلوب)، أي كل القلوب، حتى قلب الفاسق يمكن أن يقلب، كما قلب رب العالمين قلب فرعون لموسى (ع).

فإذن، إن المرأة الصالحة المؤمنة اعتمادا على الأساليب التربوية الناجحة والتوسل، بإمكانها أن تعيد الرجل إلى رشده.

س4/ متى يحسن مراجعة الزوجين للغير، لحل المشاكل الأسرية بينهما؟..

نحن في الدرجة الأولى عادة نؤكد بأن حفظ أسرار البيت، وعدم إخراجها للخارج، يوفر كثيرا من المشاكل بين الزوجين، وكما قيل: (كل سر جاوز الاثنين شاع).. هناك بعض الناس عن قصد أو غير قصد، لا يحسنون كتم أسرار الحياة الزوجية.. فالزوجة مثلا تشكو أمرها إلى مؤمن، بأن الزوج ضربها، وإذا بهذا المؤمن لغرض أو بغير قصد، أشاع هذا الأمر، فيراق ماء وجههما، ويعلم في المجتمع بأن فلان ضرب زوجته، فلا يمكنه حتى أن يأتي إلى بيوت العبادة أمام الناس، لشدة خجله مما أشيع عنه.

فإذن، إن الأفضل للزوجين في المرحلة الأولى، أن ينزعا شوكهما بأيديهما.. وإن كان ولابد من الذكر للغير، فلابد من الحكمية الشرعية، من الرجوع لإنسان يجمع بين التشرع والحكمة، لحل خلافهما، كما ذكر القرآن الكريم: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا}.. وما المانع أن يكون هذا الحكم حكما واحدا، بأن يبحثا عن إنسان يقبل أن يكون حكما بين الطرفين.. على أن يكون هذا الحكم في منتهى العدالة؛ لأن هناك أمرا شرعيا بأنه إذا دخل إنسان في حل نزاع بين اثنين، فلابد أن يكون في منتهى الدقة في الحكم، لئلا يميل إلى أحدهما على حساب الآخر.

س5/ إذا كان الزوجان متخالفين، وكان أحدهما يُغلّب كفته على الآخر، ويرمي الاتهامات عليه.. فكيف يكون الحل في مثل هذه الحالة؟..

إن الحل هو عقد جلسة مصارحة، في جو التقوى؛ فإن التقوى نعم الضمان، لعدم التعدي على حقوق الغير.

والنصيحة لمن يريد أن يتكلم في قضية استراتيجية، مثلا: يريد أن ينصح ابنته في موضوع حجابها، بأن رأى فيها بوادر الانحراف، أو يريد أن ينصح ولده أو زوجته، ويخشى أن لا يكون الكلام بليغا مؤثرا؛ إن من المناسب قبل الحديث مع الغير في قضايا استراتيجية، الالتجاء إلى الله تعالى بركعتين، من باب التسديد.. فهذا موسى (ع)–وهو الكليم– التجأ إلى الله تعالى، لنجاح مهمته،

وطلب طلبا مضاعفا تأكيديا: {قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي}.. والمؤمن أيضا يحتاج إلى هذه التسديدات؛ ليكون كلامه مؤثرا، في نفوس الغير.

13. انتقال الصفات الوراثية[13]

إن بعض الصفات الوراثية الأخلاقية، تنتقل بشكل قهري تماما كالصفات البدنية.. وعليه، فإن الالتفات إلى هذه النقطة، يجعل المرء حريصا في انتخاب المنبت الصالح، الذي تقل فيها تلك المؤثرات الوراثية السلبية، وقد ورد أن لشرب الخمر مثلا تأثيرا على أجيال متعددة.

---

[13] **انتقال الصفات الوراثية**

س1/ هل إن الصفات الأخلاقية والمعنوية وراثية، وتنتقل للأجيال، كالصفات البدنية؟..

إن انتقال الصفات الوراثية البدنية: كلون البشرة ولون العين والأمراض، أمر مسلم به في عالم الطب.. ومن المعلوم أن من أعقد تركيبات الجسم البشري، هو تركيبة الكروموسومات الوراثية، أو ما يعبر عنها بالشفرات الوراثية، فرب العالمين في نقطة صغيرة جدا من الخلية لا ترى، جعل فيها خارطة البناء لأمور كثيرة.. وهذا لا خلاف فيه، والعلماء هذه الأيام يعدلون في الصفات الوراثية جينيا.

ولكن بالنسبة للصفات الأخلاقية، فمن المعلوم أن الطب والعلم لم يمكنه إخضاع الكروموسومات تحت المجهر، ليكتشف حقيقة كون الصفات الأخلاقية قابلة للتوارث أم لا.. ولكن عندنا أدلة وشواهد بشرية، ملاحظة في حياة الأمم، بأن الصفات الأخلاقية أيضا من الممكن أن تنتقل بمعنى من المعاني، ولكن ليس كانتقال الصفات الوراثية البدنية تماما، أي ليس مثلا لو كان أب أسود اللون، فينتج ابنا بهذا اللون أيضا.. ولكن بحسب التجربة والواقع، وما نرى في حياتنا اليوم، فإن الصبغة الموجودة في أجداد العائلة، من الصفات الأخلاقية: كالبخل والكرم والنباهة والفطنة والشجاعة والجبن، نراها تنتقل بشكل ما إلى الأولاد والأحفاد، فنلاحظ أن عائلة معروفة بالشجاعة والفتوة، وهذه الصفة من الصفات البارزة في أفرادها من الآباء والأولاد.. وفي حياة العرب كانت بعض القبائل معروفة بصفة معينة، كصفة الفروسية..

والإمام علي (ع) أمير المؤمنين ويعسوب الدين-عندما طلب من عقيل أن يبحث له عن امرأة ولدتها الفحول من العرب؛ لتلد له الغلام الفارس الذي يكون في نصرة ولده الآخر سيد الشهداء (ع)- أشار إلى هذه النقطة، بأن الصفات الأخلاقية المعنوية وراثية.

ومن الصفات التي نلاحظ انتقالها بشكل واضح جدا، صفة الحدة والغضب.. وحتى عامة الناس يرون بأن العائلة التي فيها صفة الحدة، حتى الطفل الرضيع يلاحضون فيه هذه الصفة، حيث يكون طفل حاد المزاج ومتوتر..

وكما قلنا بأن الصفات الأخلاقية لم تخضع للعلم والتجربة، ولكن التوتر والفطنة لهما ارتباط بعالم الأبدان وبالمخ.. فالذكاء هو شيء معنوي أخلاقي، ولكن له ارتباط أيضا بعالم الأبدان، بتركيبة

الخلية، وبالمادة الرمادية، كما يقال.. والتوتر أيضا، فالمرأة الحامل إذا كانت متوترة، فمن المعروف أن هذا التوتر ينعكس على الجنين.

فإذن، بعد أن عرفنا هذه الحقيقة، ألا ينبغي علينا إذا أردنا أن نختار امرأة، أن لا نكتفي بالنظر إلى جمالها المجرد؟.. وبتحليل سريع لهذا الجمال، الذي أخذ بقلوب الرجال والشباب: إن الجمال لا يتعدى عن كونه قناع جلدي، شبر في شبر، مع خصلات من الشعر الجميل الناعم الأملس الطويل، مكونا غطاء لما تحته، ألا وهي الجمجمة.. ومن المعلوم أن هذه الجمجمة توضع علامة للتنبيه على خطر، وكأنها شكل موحش ويذكر بالموت والرعب.. فرب العالمين كسا الجمجمة بجلد جميل في المرأة، لأجل تحقيق غرض الخلقة من التناسل..
ولكن الأهم من هذا الجلد وهذه الفروة وهذه الخصلة، الأهم هو النظر إلى باطنها.. وقد حذر الرسول الأكرم (ص) من خضراء الدمن-كما في الحديث المعروف- وهي المرأة الجميلة في منبت السوء.. فالذي يبدو لك في الظاهر، هو جمال الوردة، ولكنها على مزبلة، فالدمن بمعنى الروث..
فالمرأة التي تربت في منبت فاسد، وأخذت صفاتها الأخلاقية من منبت فاسد، لا شك عقلا بأنه لا يعتنى بجمالها، مهما كان من جمال أخاذ.. وقطعا إن أغلب المؤمنين لو قيل له نزوجك بأجمل امرأة في العالم-كما يعبر عنها هذه الأيام بملكة جمال العالم- بما فيها من الأخلاق الذميمة، فإنه لا يكاد يميل ولا يفكر في الاقتران بها؛ لأنه-كما قلنا- جمال لا رصيد له، ولا أساس له.

س2/ كثيرا ما يتفق في الحياة الزوجية أن الإنسان يخطئ في اختيار الزوجة.. فهل هناك طريقة للتدارك؟..

إن الله تعالى مدرك لكل فوت، وقادر على كل شيء.. ومن المعلوم أن المؤمن لا ييأس، لأنه وإن كان يستشعر حالة الضعف البشري في كثير من الأمور، إلا أنه لتعلق قلبه بالله تعالى الذي لا يعجزه شيء، يعيش حالة الأمل، ويستمد العون منه تعالى.. لأن اليأس إنما هو بلحاظ الضعف البشري، والمعجزة إنما هي معجزة بلحاظ العجز البشري؛ فالبشر عاجز عن تحويل العصا إلى ثعبان، وعاجز عن تحويل النار إلى برد وسلام.. فالمعجزة، والحاجات المتعسرة، والميؤوس منها، إنما هي بلحاظ قدرة البشر المحدودة، لا قدرة الله تعالى التي لا حدود لها.

ولكن ينبغي للمؤمن أن يكون واقعيا، فإذا اكتشف أن اختياره لم يكن موفقا، فعليه أن يكون جريئا وشجاعا، ويتراجع عن الاستمرار في هذه العلاقة.. ولا معنى لأن يقحم الإنسان نفسه في حياة يكرهها، خوفا أو حياء من المجتمع والأعراف أو غيره.. فما دام هو في البدايات، في أول أيام الخطوبة، أو بعد العقد، أو بعد الزواج وقبل الإنجاب، فلا زال المجال مفتوحا للتراجع.. إلا أن

الملاحظ أن البعض يخادع نفسه، فيرتبط بزوجة كان يكرهها قبل الخطوبة، وهذه الكراهية ظلت مستمرة حتى بعد العقد والزواج، وهو يصر على الاستمرار، حتى تتعقد الأمور!..

وعليه، إن من الأفضل في مثل هذه الحالات، التراجع بأقل الخسائر الممكنة.. ولكن بعد إنجاب الأولاد والأحفاد، فإن التراجع قد يكون صعبا ومكلفا.. وهنا نقول: إن عليه بمحاولة تغيير الزوجة، ولكن هذا يحتاج إلى صبر وحكمة وقدرة متميزة.. لو أن الإنسان عنده قطعة من الحديد مربعة الشكل، ويريد أن يجعلها مستطيلة، فإنه لابد أولا أن يصهرها، ثم يصبها في قالب الشكل الذي يريده.. كذلك المرأة التي هي في دون المستوى الذي يريده الرجل إيمانيا، فمن الممكن تغييرها، وذلك بصهرها، وصبها في قالب جديد.. لكن هذا الانصهار يحتاج إلى مدد إلهي، وإلى توفيق رباني، وإلى تدبير بشري من العبد، من أجل احتواء هذه المرأة التي ليست على مزاجه.

ونفس الكلام يقال في العكس، أي بالنسبة للمرأة التي ابتليت بزوج دونها إيمانيا، وتريد تغييره.. ولكن مسألة تغيير الرجل، قد تكون أصعب من المرأة.. وذلك لأن الرجل عادة لا ينقاد إلى زوجته، حتى في مجال الدين.. فالبعض يكون عاكفا على حرام أو منكر، وعندما تنهاه الزوجة، تأخذه العزة بالإثم، فهذا حسبه جهنم، كما في الآية الكريمة.. ولكن التغيير من جانب الزوجة أسهل، فإن طبيعة المرأة أنها منقادة أكثر، وهناك أمل للتغيير بإذن الله تعالى.

س3/ في الوصية لماذا ذكر شرب الخمر بالخصوص، كمثال للمؤثرات الوراثية السلبية على الأجيال؟..

إن شرب الخمر من الأمور التي اتفق عليها الطب والدين، بأنها مادة سامة ومضرة للبدن.. وهي مادة كحولية مأخوذة من المادة الحمضية.. فكما أن الحامض يأكل الحديد، فكذلك هذه المادة لها دور في تليف الكبد، وفي تدمير الجهاز الهضمي، وخاصة مع الاستمرار والإصرار على الإدمان في هذا المجال.

وإن الفرق بين شرب الخمر، وغيره من المحرمات: كالزنا أو السرقة أو الغصب أو القمار أو الربا، أن هذه المحرمات إنما ترتكب في الواقع الخارجي، بينما الخمر يدخل في الجوف، ويؤثر في تركيب الخلية، فله ارتباط في عالم التكوين.. فالمرأة المدمنة على شرب الخمر أو على المخدرات أو التدخين، فإن هذه السموم التي تدخلها في جوفها، تنتقل عبر الخلايا إلى جسم الجنين، فيكون منذ تكوينه مدمنا على هذه الأمور.. وهناك أطفال يسمونهم بأطفال الكحولين، وهم الذين خرجوا من بطن أم كحولية.

وكما أن هذا التأثير هو مؤكد بالنسبة للجيل الأول، فمن الممكن–والله العالم– أنه ينتقل إلى أجيال متعددة، كما يفهم من بعض العبائر.. ومن هنا فإن الجريمة كبيرة، وفي يوم القيامة قد يأتي متعاطي الخمر، ويقول: يا ربي!.. إني قد تبت إليك من هذا الذنب واستغفرتك في الدنيا، وبدلا من شرب الخمر شربت ماء زمزم، وذهبت إلى الحج والعمرة.. ولكن قد يقال له: إن أثر شرب الخمر هذا، قد بان في ولدك أو حفيدك، فكيف نتجاوز عنك، وأنت قمت بما أوجب الضرر في أجيال متعددة؟!.

14. من أسباب تعجيل الطلاق[14]

إن من الصفات التي تعجل المشاكل الزوجية، ومن ثم الطلاق بين الزوجين، هي:

الحدة في المزاج، التسرع في الحكم، عدم الإحساس بلزوم التعبد الشرعي، عدم القناعة بما قسم الله تعالى، الحسد والنظر إلى ما في أيدي الآخرين من المتاع.

---

[14] من أسباب تعجيل الطلاق

س1/ ذكر في الوصية أن من أسباب تعجيل الطلاق، عدم الإحساس بلزوم التعبد بالحكم الشرعي.. فما هو دور هذا العنصر، في تثبيت دعائم الحياة الزوجية؟..

إن الناس بالنسبة لتعاملهم مع الدين على أقسام:

أولا: غير المتعبد مطلقا:

إن البعض لا يرى للدين حاكمية في الحياة أصلا، ولا يرى أن هناك أي إلزام، وإنما كل الأمور مباحة للشخص، حتى لو اصطدم بحقوق الآخرين وبحرياتهم، وهو ما يعبر عنه بالديمقراطية..

وقد يكون لهؤلاء الذين في بلاد الغرب الحق، لأن الذي يرونه من التشريعات من الكنائس والديانة المنحرفة، لا يتلاءم مع طبيعة البشر.

ثانيا: المتعبد ببعض الدين:

وإن البعض هم من الذين يتعبدون بالدين، ولكنهم كما يعبر القرآن الكريم: {وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ}.. حيث يأخذون الدين تلفيقا، أي يأخذون من كل فقيه من الأحكام ما يناسب مزاجهم.

ثالثا: المتعبد مطلقا:

وإن البعض هم من الذين يلتزمون بالأحكام الشرعية كلها، والكثيرون هم من هذا القسم، ولكن الأمر أرقى من العمل الظاهري، فقد يعمل البعض بالحكم، ولكن على مضض، وهو في نفسه يعيش حالة التبرم على الحكم الشرعي.. ولكن المؤمن والمتدين الحقيقي، هو الذي يلتزم بالحكم مع قبول وتسليم باطني، كما تشير الآية الكريمة: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا}.. فلو أنه اختلف مع شريكه في مليون دينار مثلا، وكان الحكم الشرعي بأن هذا المال لشريكه، فليس فقط أنه يعمل بالحكم، بل إنه حتى لا يأسى على هذا المال الذي فاته.. إن هذا هو التدين الحقيقي، وليس التدين العرفي الذي يؤخذ من ظاهر الإنسان، فيكفي بأن يكون الإنسان يصلي في المسجد ويصوم ليطلق عليه وصف المتدين!.. فإن التدين بالشيء بمعنى الالتزام، وأنه يلزم نفسه بهذا الشيء، فالعقيدة عقدة في عنقه، وارتباط لا يمكن أن ينفصم.

وإن الزوجين إذا كانا بهذه المثابة من التدين، وكان الدين هو الحكم، وهو الذي يفصل بينهما، فلو دب الخلاف بينهما، لا يتوقع أن يوقعهما ذلك الخلاف في مشكلة كبيرة.. فلو وقع خلاف مثلا بينهما بسبب أن المرأة تريد الخروج من المنزل بلا مسوغ شرعي، والرجل غير راض بذلك، فالحل: إما هما يكتشفان الحكم الشرعي، أو أنهما يتصلان على أي عالم.. فإذا قال العالم بأن هذا الخروج لا يجوز، فإن الخلاف ينتهي، والزوجة المتدينة تسلم لهذا الحكم وترضى به.. أو وقع اختلاف في الحضانة، أو النفقة، أو في إرث المرأة، وغيرها من الأمور التي لا تلائم مزاج البعض؛ فإذا كان الدين هو الحكم بين الزوجين، فإنه لا مجال للخلاف في هذه العائلة المباركة.

س2/ ذكر في الوصية أن من الأسباب أيضا في الخلاف الزوجي، الحدة في المزاج.. فما مدى أثر هذه الصفة في زعزعة كيان الأسرة؟..

إن الحدة في المزاج هو الإسفين الذي يشق هذا الجذع المتجذر، أي هذا الرباط المقدس.. إن الإنسان الذي يحتد في المزاج، ويركبه الشيطان في حال الحدة والغضب، فهذا لا ينطق عن عقله، ولا ينطق عن فطرته، ولا ينطق عن نيته، فقد يكون الإنسان على خلاف مع زوجته، وينوي أن يدفع بالتي هي أحسن، ولكنه عندما يغضب يخالف قراراته التي أخذها من قبل.

ثم إن الإنسان الحاد المزاج، الذي لا يملك نفسه في حال الغضب، لا يمكنه أن يصل إلى درجة كمالية، كما يقول أحد العلماء الكبار.. فهو بمثابة إنسان عنده خزان مائي، ويبذل جهده ليملأه بالماء، ولكن هناك مخرج مائي يعمل على تصريف الماء خارجا، ويضيع جهده هباء منثورا، فهذا مهما بذل من جهد، فإنه لا يرجى له أن يبلغ غايته.

مثلا: هو توفق لأن يصلي صلاة الليل بخشوع، وأعطي النور، ولكنه في النهار غضب على أخيه، فهذا النور الذي اكتسبه أخذ منه.. أو صلى صلاة العشاءين جماعة في المسجد، وأعطي النور، ولما رجع إلى المنزل احتد على زوجته، وإذا بهذا النور خرج من قلبه..

وعليه، إن الإنسان حاد المزاج، في خسران دائم.. ومن المعلوم-بصريح القرآن الكريم- بأن مطلق الإنسان في خسر، فيكون الإنسان الحاد المزاج في خسر مضاعف.

وأما عن تأثيره في زعزعة كيان الأسرة، فمن الواضح أن الإنسان عندما يحتد، أنه لا يتكلم عن صواب ومنطق.. ومن الطبيعي أن الكلام اللامنطقي، والكلام الذي فيه إثارة وفيه ما فيه، أنه يخرج الغير من صوابه أيضا، فيقع بين الزوجين من الخلاف الحاد..

ولهذا قيل إن الزوج إذا كان غضوبا، والزوجة كانت هادئة، فإنه يرجى السلامة واستمرار الحياة بينهما.. لأن هذا نار مشتعلة، وهذه ماء بارد، والماء يطفئ النار..

أما إذا كان الزوجان في مستوى متقارب من الحدة والغضب، فهذه الأسرة لا يمكن أن تطاق، وعادة ما ينتهي أمر الزوجين إما إلى الانفصال، أو إلى البقاء الإجباري-أو كما يعبر بالإقامة الزوجية الإجبارية- ولولا الأولاد أو غيره مما قد يكون من الأسباب المانعة، لكان الانفصال.. ولا شك أن الذي يعيش مثل هذه الحياة، يكون في غاية الأذى وعدم الاستقرار النفسي، كفى الله تعالى المؤمنين من هذا الوضع!.. وهنيئا لمن كانت عيشته باختياره إلى ساعة الممات.

س3/ ما هي نصيحتكم للشخص الحاد المزاج؟..

كما يذكر في كتب الأخلاق: إن الإنسان عندما يحتد مزاجه، فعليه بعدم أخذ القرارات أو أجراء العقوبات.. والخطوة الأولى أن يحاول أن يخرج من الجو الذي هو فيه، فإن كان قاعدا فليقم، وإن كان قائما فليقعد، وإن كان متوضئا فليغتسل وليستغفر..

وإن من أفضل صور تذويب الغضب، أن يتوضأ ويصلي ركعتين، بعنوان التسديد.. وخاصة لأن الإنسان بعض الأوقات يكون في مفترق طريقين، فلا يعلم المصلحة أين تكون، هل هي في أن يرجح الغضب أو لا يرجح.. فقد يكون الغضب في محله، مثلا: الزوجة قامت بعمل نشاز، فإذا هو أظهر غضبه من الممكن أن يرفع الباطل أو المنكر، وإذا لم يغضب فمن الممكن أن يوجب ذلك التمادي فيه.. وقد يكون الغضب في غير محله.. ولهذا فالنصيحة في مثل هذه الحالة، التي لا يقطع الإنسان فيها بأحد الوجهين، بطلب المدد من الله تعالى، فليقل: يا رب!.. بصرني بما ينبغي أن أقوم به.. فإن هذا من موجبات تذويب الغضب، أو على الأقل تحجيم الغضب.

وكما يقال بأن قضاء الغضب، أيسر من قضاء الحلم والعفو.. بمعنى أنك لو غضبت في محله، ثم تبين لك ذلك، وأحسست بأنك أخطأت، وأردت طلب العفو والمسامحة، فهذا يحتاج ويتطلب منك إلى معاملة أخرى، لأن الطرف الآخر قد يصفح ويعفو ويرضى وقد لا يرضى.. ولكن لو أنك صرت في موقف غضب، ولم تغضب، ثم تبين لك بعد فترة أن الغضب في محله، فمن السهل أن تفتعل مشكلة، وتعمل غضبك؛ فالغضب قابل للتدارك بسهولة، بخلاف الحلم والعفو.

س4/ ذكر في الوصية أن من الأسباب أيضا في الخلاف الزوجي، عدم القناعة بما قسم الله تعالى، ومد البصر إلى متاع الآخرين.. فكيف يكون ذلك؟..

إن من النعم العظمى التي يغبط عليها صاحبها، هي القناعة بما قسم الله تعالى له.. لأن مثل هذا الإنسان يعيش في حالة من الارتياح الدائم، ولو كان من أفقر الناس متاعا في حياته.. بخلاف ذلك

المتعلق قلبه بالدنيا وبمتاعها المحدود، والذي ليس في مقدور كل أحد الوصول إليه، بأشكاله المتعددة، فكلما رأى ما يتمتع به الغير مما هو محروم منه، عاش ما عاش في نفسه من الضيق والأذى، ولهذا هو في حالة من الأذى المتجدد وعدم الاستقرار النفسي.

من الجميل جدا بل من المريح جدا، أن يصل الإنسان إلى درجة من الزهد في المتاع الدنيوي، أنه لا يتأثر بما يراه ويقنع بما عنده، ويرضى بما قسم له ربه.. ولهذا أمرنا بعدم مد البصر إلى متاع الآخرين، كما قال تعالى: {وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}..

إن مد البصر، بمعنى التطلع بشغف إلى متاع الآخرين، وإعطائه قيمة في الحياة.. وهذا العنصر يكون من أسباب الخلاف بين الزوجين، من حيث أن المرأة عندما تدخل منزل جارتها، وترى ما فيه من صور المتاع، من الحلي والحلل والأثاث وغيره، يتعلق قلبها بذلك-من باب أن الإنسان مجبول على حب زينة الحياة الدنيا، فرب العالمين جعل ما على الأرض زينة لها- فتطالب الزوج بما هي اشتهت، والزوج لا يمكنه أن يلبي رغبتها، فينشأ خلاف بينهما، وقد يكون هذا الخلاف بداية لخلافات كبرى.

ولهذا أمرنا بعدم معاشرة المترفين، كما ورد عن الرسول الأكرم (ص): أربع يمتن القلب... وذكر منها: ومجالسة الموتى، فقيل له: يا رسول الله، وما الموتى؟.. قال: (كل غني مترف).. فالأمر بالنهي عن معاشرة الأغنياء ليس مطلقا، بل الغني المترف، الذي يقتني من المتاع والأثاث للدنيا، لأجل التفاخر وإظهار متاعه للغير.

فإذن، إن من الحلول الأساسية لدعم قواعد الأسرة، هو عدم مد البصر إلى متاع الحياة الدنيا.. ومن المعلوم أن الله تعالى-رأفة بعباده، وكرها لزخارف الدنيا- جعل خاصية الملل في الحياة الدنيا، إذ كل نعيم دون الجنة مملول.. فكل العناصر التي تستهوي الإنسان من المتاع، والحلي والذهب، واللوحة الفنية، بعد فترة قصيرة من اقتنائها-ولعل بعد جهد جهيد من السنوات في جمع المال- يذهب بريقها.. حتى جمال المرأة، فترى البعض يسعى للزواج من امرأة، بعد سنوات من الانتظار، ويتفاجأ بعد ليلة أو ليلتين أن هذه الحياة ليست كما كان يتخيلها، بأنها حياة مخملية، فيها ما فيها من ألوان المتع التي كان ينسجها في خياله.

وإن الحل الذي يكفي من كل هذه المشاكل، هو عدم التعلق بمتاع الدنيا لدرجة الوقوع في الأسر، كما ورد: (ليس الزهد أن لا تملك شيئا بل الزهد أن لا يملكك شيء).

15. القابلية لا الرصيد[15]

إن المهم في الزوج هو قابليته لتدبير المعيشة من جهة الكفاءة والقابلية، وليس من المهم–بعد ذلك– رصيده الفعلي.. فإن الحق المتعال تكفّل فيما تكفل، بإغناء الزوجين، وذلك في قوله تعالى: {إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله}.

---

(15) القابلية لا الرصيد

س1/ إن الكثيرين يتزوجون وهم في حالة من الضيق في العيش والفقر، على أمل أن يغنيهم الله تعالى من فضله، كما قال تعالى: {إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ}، ولكنهم لا يرون سعة في العيش، فما هو السبب في ذلك؟..

يا ليت الكثيرين كذلك!.. نحن عادة في حياتنا الدنيوية نعيش عالم الغفلة، فالقليلون الذين يتزوجون ثقة وأملا بما عند الله تعالى، فإن الثقة والأمل والاعتماد–هذه الأيام– إنما على شركات التأمين.. أما أن الآية القرآنية تعطينا وعدا بالإغناء، فإن هذا يحتاج إلى ثقة ويقين بوعد الله تعالى، {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا}؟!..

أما عن لماذا أن البعض الذين يتزوجون على أمل الإغناء ولا يجدون ذلك، فنقول:

إن الوعود التي في القرآن الكريم والسنة النبوية، ظاهرها مطلقة وباطنها مقيدة، فمثلا: قوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}، فظاهر الآية الإطلاق، بمعنى أن كل ما نطلبه من الله تعالى يستجاب، ولكن هناك عبارات أخرى تبين أن هناك موانع من الاستجابة، ومنها ما ذكر في دعاء كميل: (اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء)..

وكذلك الزواج فهو مقتضي، ومن موجبات الإغناء وسعة الرزق، ولكن بشرط عدم وجود الموانع.. وإن المانع الأساسي في تضييق الرزق، هي المعاصي.. فإن المعاصي آثارها ممتدة في حياة الإنسان، في الدنيا قبل البرزخ والآخرة، كما ورد في الدعاء: (اللهم اغفر لي الذنوب التي تظلم الهواء)، فالهواء أيضا يتأثر بالذنوب.. ومما يروى أن النبي (ص) لما مر على أرض قد نزل عليها العذاب في الأمم السابقة، طلب أن يخرجوا من هذه المنطقة بسرعة، فالأرض التي نزل عليها العذاب–كأرض قوم لوط– فإنها مكان مظلم.. ومن المعلوم أن هناك بيوت منيرة، وهناك بيوت مظلمة، ومن موجبات إنارة البيت مثلا تلاوة القرآن، فالبيوت التي يتلى فيها كتاب الله تعالى تضيء لأهل السماء، كما تضيء النجوم لأهل الأرض.

فإذن، إن الزواج في حد نفسه من موجبات الإغناء، إلا إذا وجد مانع، من قبيل المعاصي كما ذكرنا.. والشاهد والمؤيد على ذلك، هو هذه الآية الكريمة: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً}.. فنحن نلاحظ أن قمة العلاقة الزوجية تكون بعد

العقد مباشرة، رغم أنه ليس هنالك أي تعامل ولا معاشرة، ولكن العبد بسوء الاختيار وبالمعاصي، فإن هذا الرصيد من المودة والرحمة يذوب تدريجيا، كجبل الجليد..

فكما أن المودة والرحمة، بقاؤهما منوط بعدم الإتيان بما يوجب سلبهما، فكذلك في عالم الرزق الإلهي للزوجين، فهو منوط بعدم ارتكاب ما يوجب تضييق الرزق.. ونحن نعلم-كما في الروايات- أن تأثير المعصية حتى في غير الرزق المادي، فالعبد يذنب الذنب، فيحرم بها صلاة الليل، فإذا حرم صلاة الليل ضيق عليه في الرزق، وهكذا فالقضية مترابطة.

ولكن قد يقول قائل: وكيف أن البعض لا يرتكب المعاصي، ومع ذلك فهو يعيش حالة الفقر؟..

فنقول: إن المؤمن الذي يعمل بما عليه، ولا يعصي ربه، ويؤدي حقوقه، ويصبر على قضاء ربه وقدره، فما يصيبه من بلاء، سواء كان مرضا أو فقرا أو أي شيء آخر، فإنه بلاء تكاملي وتصاعدي، ورفع لدرجته، لا كفارة للسيئات.. فبلاؤه كبلاء الأنبياء والأوصياء، فهذا أمير المؤمنين (ع)-كما في بعض الروايات- قد كان يستقرض المال من الغير، ومن الطبيعي أن يكون هذا الاستقراض في مقابل نقص في المادة.. فالبلاء بالفقر بالنسبة لأمير المؤمنين (ع) ولشيعته الأبرار، هو قطعا رفع لدرجاتهم.

س2/ إن الملاحظ في روايات أهل البيت (ع)، كثرة التعبير بكلمة (الرزق).. فما هو المراد من هذه الكلمة تحديدا؟..

إن الرزق أو الفضل تعبير شامل ومطلق، لكل ما يأتي من قبل الله تعالى، مما ينتفع به الإنسان في حياته، كما في قوله تعالى: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ}، فالآية تشير إلى الأرزاق التي تنزل من عند الله تعالى، مع أنه لا ينزل من السماء إلا المطر والثلج.

ومن المعلوم أن الأرزاق نوعان:

الأرزاق المادية: كالطعام، والشراب، والمال..

والأرزاق المعنوية: كرقة القلب، وما يعطاه المؤمن من رصيد باطني من المعرفة والعلم..

وهناك إشارة في الروايات إلى أن أفضل أنواع الرزق، هو ما يتعلق بعالم القلوب لا الأبدان، كما نفهم من هذه الرواية، عن الإمام الباقر (ع): (إن لله عقوبات في القلوب والأبدان: ضنك في المعيشة، ووهن في العبادة.. وما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب).. فكما أن قسوة القلب من أشد أنواع العقوبات، فإن رقة القلب، وإقبال القلب، من أعظم المثوبات والأرزاق.

ومن هنا فالمؤمن لا يهمه ضيق الرزق في ملف من الملفات؛ لأنه يعتقد أن رب العالمين عندما يأخذ من ملف، فإنه يعوضه في ملف آخر.. وعلى سبيل المثال: ما نلاحظه في بعض الأسر الفقيرة، فمع أن الأب لا يمكنه دفع الأموال لتعليم أولاده، إلا أنهم متعلمون ومثقفون ومتدينون.. وفي بعض الأسر الغنية، ترى الأولاد فاشلين في الدراسة، وعاطلين عن العمل، ومنحرفين، ومدمين على المخدرات..

فإذن، إن الرزق هو قضية عامة، وإن من أفضل أنواع الرزق: الزوجة الصالحة، والذرية الصالحة، ورقة القلب.. ومن المعلوم أن المال النقدي والذهب والفضة، هو في آخر قائمة الأرزاق التي يتمناها المؤمن، ولكن نحن-مع الأسف- جعلناها في أول قائمة الأرزاق.

س3/ بلا شك أن الإسراف والتبذير، من موجبات الخلل الاقتصادي في الحياة الزوجية.. فما هي نصيحتكم في هذا المجال؟..

إن رب العالمين يعطي الزوجين من الرزق، الكفاف فما فوق، وهذا هو الخروج من الفقر، فالفقر ينتفي برزق الكفاف.. ولكن الإسراف والتبذير، ومد العين إلى متاع الغير، قطعا يؤدي إلى الفقر، ومن موجبات تضييق الرزق والعيش في الحياة الزوجية.

أضف إلى البعد والجزاء المعنوي، فنحن عادة لا نفكر إلا في هذا البعد المادي، بأن الإنسان المسرف والمبذر، الذي لا يوازن بين الراتب وبين الذي يصرفه، يبتلى بعجز الميزانية في راتبه وفي مصرفه.. ولكن كما نفهم من هذا التعبير القرآني: {إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ}، أن القضية أعمق وأشد خطرا.. فكم هذا التعبير مخيف!.. والملاحظ أنه لا نظير له في القرآن الكريم، فلم يرد لا في الزنا، ولا في شرب الخمر، ولا حتى في الكفر!.. فإن التعبير بأخوة الشيطان، يوحي إلى أن هناك حالة من حالات السنخية الشديدة، فعندما يقال (فلان أخو العدل)، فهذا يفهم منه حالة من الانطباق والاقتران، فالمعنى المفهوم أنه قرين العدل.. وكذلك (أخو الشيطان)، فالمعنى أنه قرين الشيطان.. ولكن لماذا كان المسرف قرين الشيطان؟.. إن الإسراف والتبذير، هو مدخل للشيطان إلى مملكة الوجود، فإذا هو دخل فيها، صار يعيث فيها فساد في أبواب أخرى.

ولكن هذا الكلام قد لا يوجد للبعض الداعوية لترك هذه الصفة المذمومة.. فالمرأة إذا دخلت السوق ورأت ألوان المتاع من الذهب والحلي وغيره، قد تنسى كل هذه الوصايا.. ولهذا فإن العلاج الأساسي لعدم الإسراف والتبذير، هو التعالي عن سفاسف الأمور، والتعالي عن الدنيا، وهذا يكون نتيجة تغير في الباطن، بأن يمتلك الإنسان حالة من الإعراض والزهد، بحيث أن المتاع الدنيوي لا يجتذبه

كثيرا.. فإذا وصل الزوجان إلى هذه الدرجة من الرؤية النظرية- فالمرأة إذا كان لديها من الذهب والحلي والأثاث ما يكفيها، وعندما ترى ما عند الغير فإنه لا يستهويها ولا يغريها- فهذا يتحول إلى سلوك عملي، على شكل القناعة في العيش.. وعندئذ لا يصبح هناك إسراف ولا تبذير، فيكونا قد سدا على أنفسهما بابا من أبواب الضيق في الرزق.

16. الابتعاد عن مصادر التوتر[16]

ينبغي الحرص على إبقاء العلاقات الاجتماعية، خالية من الشوائب، وخاصة مع أرحام الزوجين، وذلك لوجود أرضية الخلاف–في بعض الحالات– بشكل طبيعي، كما نشاهده أحيانا بين أهل الزوج من جهة وبين الزوجة من جهة أخرى.. فإن هذه العلاقات المتوترة، مصدر تشويش دائم في الحياة الزوجية، ولطالما آل أمره إلى هدم العش الزوجي، وخاصة مع التناحر والعصبية.

---

[16] **الابتعاد عن مصادر التوتر**

س1/ كما ذكر في الوصية، إن العلاقات المتوترة مصدر تشويش دائم في حياة الإنسان المؤمن، وخاصة مع الأرحام والمقربين.. فما هي القاعدة العامة لتجنب التوتر مع الغير؟..

إن هذه القاعدة قد يكون من السهل بيانها، ومن السهل فهمها أيضا، ولكن العقبة الكبرى في التطبيق؛ لأنها مسألة ظريفة وحساسة.. وذلك لأن الإنسان يتعامل مع الآخرين على أساس الصورة الذهنية، التي يصطنعها عن الشخص سلبا وإيجابا، وهذه الصورة في الغالب لا تطابق الواقع..

ولهذا فإن الذي يريد أن يمنع التوتر عن نفسه في التعامل مع الخلق، فعليه أن يراجع البنك المعلوماتي لتقييم الأشخاص في باطنه.. إذ أن كل شخص نتعامل معه، نضع له ملفا من الأحكام والتصورات، ونتعامل معه على أساس هذا الملف الذي لا يرى.. وغالبا ما يكون الإنسان لا يعلم بهذا الملف، ولكن مواقفه تلقائيا تصدر تبعا لهذا الملف..

فمثلا: ترى إنسانا له حساسية مفرطة من إنسان آخر مؤمن ولم يصدر منه أي أذى نحوه، وله حالة من الحقد تجاهه، ويضع له العراقيل في مجال عمله، وله حالة من حالات الانكماش نحوه.. فهو لا شعوريا له هذا التعامل السلبي، وعندما يدقق، يرى بأن هنالك بدايات من حالة الحسد، فهو يحسده، فلا يحبه، ويحقد عليه، فينعكس ذلك في تعامله..

أو ترى إنسانا يتزوج امرأة وكان في باله امرأة أخرى، فيسيء التعامل معها إلى آخر العمر، لأنه دائما يعتمد على عنصر المقارنة بين هذه المرأة الموجودة، وبين تلك المفقودة التي كان يريد أن يصل إليها.

فإذن، إن الحل الأساسي هو أن يصفي الإنسان مجموعة الصور التي في باطنه، تجاه من يتعامل معهم، وذلك يحتاج إلى عناصر، منها:

التقييم الموضوعي:

وذلك يكون بتحكيم العقل لا الأهواء النفسية، وأن يحاول أن يكون منصفا في الحكم على الآخرين وتقييمهم، بالتجاوز عن ذاته، ويوازن في كل إقدام بين السلبيات والإيجابيات.. فمثلا لو أن إنسانا تزوج امرأة معينة وأنجب منها، فلا معنى للتراجع بسهولة، لأن هذا بناء قد بني.. لو بنى الإنسان

منزلا وفق خارطة معينة، ثم تمنى خارطة أخرى لهذا المنزل، فليس من المنطق والعقل أن يهدم هذا البنيان ليبني بناء آخر!..

الحذر من وسوسة الشيطان:

ينبغي عدم السماح للشياطين الموسوسة-وخاصة في الخلافات- للدخول في هذه الملفات.. ومن المعلوم أن الشياطين مهارتها في قلب هذه الملفات، والتدخل فيها.. ومن هنا أمرنا بعدم إساءة الظن، والحمل على الأحسن، لأن الشيطان يحاول أن يشوه صورة الطرف الآخر، في ذهن المؤمن.

الطلب من الله تعالى برؤية الأمور على واقعيتها:

إن المؤمن أمنيته أن ينظر إلى الأمور بعين قريبة ومطابقة للواقع، فتراه يلح في هذا الدعاء: (اللهم أرنا الأشياء كما هي).. ولا نقول برؤية الواقع دائما، في كل الحالات، لأن هذا شأن المعصومين (ع)، بل يطلب من الله تعالى أن يبصره بالأمور التي تهمه، بأن يعلم ما هو مستوى الذين يتعامل معهم، كزوجته، ووالداه وإخوته وأقاربه وجيرانه.. إن الإنسان المؤمن يطلب من الله تعالى، أن يكشف له الغشاوة عن الذين هو مبتلى بهم، في مقام التعامل الرتيب اليومي.

س2/ إن من الصفات السامية التي ينبغي للمؤمن التحلي بها، هي صفة التسامح والعفو ودفع الإساءة بالإحسان، كما قال تعالى: {وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}.. ولكن البعض قد يصعب عليه تطبيق هذه الآية.. نريد منكم تسليط الضوء أكثر على هذه الآية المباركة؟..

إن هذه الآية من الآيات الأنفسية في القرآن الكريم، والآيات الأنفسية هي كالآيات الآفاقية، من حيث التحقق وعدم التخلف.. فمثلا: من الآيات الآفاقية أن رب العالمين ينزل من السماء ماء، فيحيي به الأرض بعد موتها.. فهذا الإنبات بالنسبة لعالم الآفاق، لا يتخلف، وليس عندنا ربيع من دون إنبات.. وأما في عالم الأنفس، فرب العالمين وعد بإنبات مريم (ع)، حيث قال تعالى: {وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا}، فرأينا آثار وبركات مريم العذراء (ع).

وكذلك آية الدفع بالتي هي أحسن، فإن الإنسان الذي يقع في حالة خصام، ويجاهد نفسه في الإحسان إلى من أساء إليه، فإن النتيجة-كما في الآية المباركة- أن تتحول العداوة إلى صداقة حميمة.. ولكن هل إن هذا التحول هو سنة وطبيعة بشرية، أم أن هناك تدخل إلهي؟..

نحن نعتقد أن هناك مزيج بين الأمرين، فالذي يعمل بمضمون هذه الآية، فبمقتضى طبيعة الحال، يوجب تحويل العداوة إلى صداقة، وأيضا هناك دفع إلهي، فرب العالمين يلين القلوب، وقلب العبد

بين إصبعين من أصابع الرحمن.. كالسفينة الشراعية، فهي تشق عباب الماء بنفسها ولو بشكل بطيء، ولكن عندما تأتي الرياح الموسمية الموافقة لاتجاه سير السفينة، فإنها تجري بشكل أسرع.

وعليه، إن الذي يعتقد بهذه الآية، فإنه لا يحتاج إلى أن يفكر كثيرا في المراحل، ويتحايل، ويلف يمينا وشمالا.. فلو وقع خلاف في الحياة الزوجية، فالعبد المؤمن والأمة المؤمنة إذا دفعا بالتي هي أحسن، فالأمر لا يحتاج لا إلى محاكم ولا إلى مراجعة أهل الحل والعقد، فرب العالمين يؤلف بينهما.

ولكن قد يقول قائل: إن البعض حتى مع الإحسان إليه لا يبالي ولا يهتم.. وإن الاستمرار في التعامل بالحسنى معه، ألا يوجب التمادي في الإساءة؟..
فنقول: إن العبد عليه أن يؤدي ما عليه من وظائف العبودية، ولا يتوقع المسايرة، فهو بتعامله الحسن ليس من أجل أن يكافئه الطرف الآخر.. إلا إذا أوجب ذلك التمادي، بأن يكون الإنسان المؤمن يدفع بالتي هي أحسن، ولكن الطرف الآخر يستغل الموقف ليذل المؤمن.. فهنا رب العالمين لا يسمح للعبد أن يذل نفسه، فرب العالمين أوكل أمور العبد إليه إلا أن يذل نفسه، فالأمر إذا وصل إلى مرحلة الإذلال، فرب العالمين لا يرضى لعباده الذل.

س3/ لو ابتلي الزوجان بإنسان يحاول أن يثير الفتنة والخلاف بينهما، فما هي الطريقة الفضلى لمواجهة هذا الإنسان؟..

إن أفضل طريقة هي الرد بالتي هي أحسن وسياسة الاحتواء، وكما قال تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا}.. أي أن الإنسان المؤمن عندما يخاطبه الجاهل، فإنه يواجهه مواجهة سلمية، ثم إن هذا الإنسان الجاهل عندما يرى هذا التعامل الإيجابي، سوف يكف عن مواجهته، إما خجلا أو يأسا من التأثير.. فمثلا: هناك امرأة مبتلاة بجارة، وفي كل يوم تأتي لتثيرها على زوجها، وهكذا والمرأة المؤمنة لا تكترث بما تقول وتحسن معاملتها.. فمن الطبيعي أن تيأس هذه المرأة في يوم من الأيام، وترى بأنها في موقف الوهن والذل، لأنها تحاول الدخول في العش الزوجي للغير، وهما يطردانها من هذا العش المبارك. فسياسة الدفع بالتي هي أحسن، أيضا ضمان لهذا الأمر.

وهناك مقولة لأحد العلماء وهي: إن الشيطان بطبعه متكبر –لهذا أبى عن السجود– والإنسان عندما لا يسمع قوله ولا يصغي له، ويعانده ويخالف وسوسته، فإن هذا ينافي استكباره، فيترك هذا الإنسان لأنه لا يريد أن يذل نفسه.

وإن من سبل دفع وسوسة الشيطان أيضا -غير المخالفة والمعاندة- اللعن البليغ والدعاء على الشيطان حقيقة، لا بنحو اللقلقة المتعارفة والاستعاذة المجردة، لا بل وهو في جوف الليل وفي حالة مناجاة، يشتكي إلى ربه من الشيطان، ويطلب من الله تعالى أن يطرد عنه هذا اللعين، ويقول: اللهم اقصم ظهره، اللهم اقطع وتينه، اللهم ادفع كيده عني.. وإن رب العالمين خلق إبليس، وناصية إبليس بيده، ولا يعجزه شيء.

17. تحاشي ساعة الغضب[17]

إن من الساعات التي يتسلط فيها الشيطان على الزوجين، هي ساعة الغضب.. فعلى الزوجين في مثل هذه الحالة–ولا تخلو منها حياة زوجية– من تحاشي اتخاذ أي قرار، أو عمل، أو قول يعمق الشرخ بينهما، ويورّثهما الشحناء والبغضاء، وإن اصطلحا بعد ذلك.

---

[17] تحاشي ساعة الغضب

س1/ من المعلوم أن الغضب–وخاصة في الحياة الزوجية– عامل فتاك ومدمر.. فما هو موقع الغضب من تركيبة النفس الإنسانية؟..

من المعلوم أن النفس البشرية تتكون من قوى، وهي: العقل، والشهوة، والغضب، والوهم والخيال.. ويمكن أن نعبر عن الشهوة، والغضب، والوهم والخيال، بأنها أضلاع ثلاثة لسجن على شكل مثلث، والإنسان محصور في هذا السجن، والذي يريد أن يخرج من هذا السجن، لابد أن يكسر هذه الأضلاع الثلاثة.

فأما الشهوة، فهي قوة تجعل الإنسان يشتهي الأمور، بغض النظر عن كونه حلالا أو حراما.. والمشكلة ليست في الحلال، وإنما أن يستجيب الإنسان لهذه الشهوة ولو في الحرام، فمثلا: شاب يحب أن يقترن بامرأة، ولا يمكنه أن يسلك طريق الحلال بالزواج بها، لضيق يده أو للظروف المحيطة به، فيسلك الطريق الحرام..
فالإنسان طبيعيا يحب أن يصل إلى مشتهاه، وإن الذي يوقفه عن المشتهى الحرام هي التقوى، ولكن التقوى هي صفة لا يتحلى بها الجميع، فالذي لا تقوى لها، فمن الطبيعي أنه سيسقط بين يوم وآخر في مطب الشهوات.

وأما العقل، فهي قوة الإدراك، وبه يميز الإنسان الحسن من القبح.

وأما الوهم والخيال، فهي قوة تمكن للإنسان أن يتصور الأشياء متى ما أراد.. وقد تأتيه تصورات قهرية، كما في الصلاة، فالإنسان عندما يصلي يتمنى أن لا تأتيه صورة، ولكن رغم أنفه تأتيه صور مزعجة ومحرمة، لا تليق بالصلاة.. ومن المعلوم أن من أصعب الأمور، هو السيطرة على الوهم والخيال.

وأما الغضب، فهي قوة تجعل الإنسان في حالة من حالات الفوران الداخلي والأذى النفسي، عندما يرى ما لا يلائمه، من شخص أو من شيء.. فترى الإنسان تارة يصب غضبه على شيء لا يعقل– على دابته مثلا– وتارة على بشر؛ لأنه رأى ما لا يلائمه.

وهناك بحث، وهو: هل من الممكن أن لا يغضب الإنسان؟..
والجواب: إن هذا غير ممكن أصلا، لأنه ما دام يرى المنافر، ويرى غير الملائم، فمن الطبيعي أن تنقدح عنده حالة الغضب.. وإن نبي الله تعالى موسى (ع) قد غضب على قومه، لما رجع من تلقي الألواح من ربه، ورأى ما لا يعجبه من عبادة العجل وغيره.. ومن المعلوم أن النبي محمد (ص) كان عندما يغضب لا يقوم لغضبه شيء، وما كان أحد يتجرأ على الحديث معه، وهو في حال الغضب الإلهي الرسالي.. وإن رب العالمين يغضب على البعض، ويلعن البعض.

فإذن، إن الغضب أمر طبيعي جدا، عندما يرى الإنسان ما لا يلائمه.. ولكن الكلام في هذا الشيء الذي لا يلائم ويسبب الغضب، هل هو لا يلائم ومنفر حقيقة، أم هو يتخيل ذلك؟..
لأن البعض قد يرى أمرا منفرا، وهو ليس بمنفر.. فترى -مثلا- الزوج لما يدخل المنزل، ويرى أن أمور المنزل غير منظمة، والأكل غير مهيأ، والمنزل فيه ما فيه من الفوضى، فهذا يراه منفرا ويستحق الغضب.. والحقيقة إنه ليس كذلك، لأن المرأة غير ملزمة شرعا بهذه الأمور، وما تعمله من الطبخ والغسل والإرضاع، وغيره من شؤون المنزل، إنما هو من باب التبرع لا التكليف الشرعي، ولو أن المنزل كان على خلاف ما يحب الزوج، فهذا لا يوجب أبدا أن يغضب، لأن الذي رآه منفرا، ليس بمنفر.

أما إذا كان الأمر منفرا حقيقة، كأن قامت المرأة بعمل حقيقة لا يجوز، أو فيه ما فيه من الأذى، أو تكلمت له بكلمة نابية.. فهنا عليه أن يدرس ردة فعله، ويقيم غضبه: فهل إنه للنفس، أم لله تعالى.. فإذا كان الغضب لله تعالى، فالأمر في محله.. وإلا لو كان الغضب للنفس، وكان المنفر منفر حقيقة، فالإنسان من الممكن أن يركبه الشيطان، لأن غضبه لم يكن لله تعالى.

وأيضا ينبغي أن نلتفت إلى إعطاء الأمر حقه من هذه الناحية، بأن يكون بحسب المرتكَب، وأن يغضب لله تعالى بمقدار غضب الله تعالى، فلا يغضب لارتكاب المكروه كغضبه لارتكاب المحرم، ولا يغضب لترك المستحب كغضبه لترك الواجب، ولا يغضب لارتكاب الصغيرة كغضبه لارتكاب الكبيرة.. وإلا فإن الإنسان الذي لا يراعي ذلك، فإن غضبه ليس غضبا إلهيا.

س2/ ما هو العلاج الجذري والعلاج المؤقت لحالة الغضب؟..

العلاج الجذري:

بأن يكون الإنسان من الذين قال عنهم الإمام علي (ع): (عظم الخالق في أنفسهم، فصغر ما دونه في أعينهم).. ولا شك بأن هذا المستوى التكاملي راق جدا، ويجعل الإنسان المؤمن يتعالى عن سفاسف الأمور.. فهل رأيت إنسانا عاقلا يغضب-مثلا- على ذبابة آذته؟!.. فلا شك أن مستوى تصرف الإنسان العاقل، لا ينحدر إلى مستوى من هو دونه، الذي يتفاعل مع كل صغيرة وكبيرة.

إن الإنسان الذي هو مشغول بعالم علوي، وقد تخلى من الهموم إلا هما واحد، وإن تعرض لأذى من إنسان أو حيوان أو جماد؛ فإن هذا الإنسان فوق هذا المستوى، وإن انشغال الباطن بالأمور المهمة والجادة، من موجبات عدم الغضب.

أضف إلى أن المؤمن-الذي وصل لذلك المستوى التكاملي- أصلا لا يرى أن هناك ما يستحق الغضب.. لأن الغضب فرع الالتفاتة، والالتفاتة فرع الأهمية، وهو لا يرى في الوجود إلا الله تعالى.

العلاج المؤقت:

بأن يؤجل ردة فعله، وما يتخذه من القرارات والعقوبات والتعليقات وغيرها، إلى فترة لاحقة ولو بعد ساعة.. ومن المعلوم أن الإنسان بإمكانه أن يخادع نفسه، فليقل لنفسه: إن كان ولابد من الغضب، فليكن بعد ساعة.. وقطعا فإن الأمور سوف تهدأ، ولن تبقى على فورتها التي كانت عليه ساعة الغضب.

س3/ كما ذكرتم إن الغضب من الصفات التي لا تليق بمستوى الإنسان المؤمن.. فهل المطلوب من المؤمن عدم الغضب مطلقا؟..

إن المؤمن يتأسى بالنبي (ص) في كل شيء.. وكما ذكرنا بأن الغضب من تركيبة النفس الإنسانية، فعدم الغضب مطلقا، هذا لا يمكن أصلا.. ولكن ينبغي للمؤمن أن يدخر غضبه إلى الأمور التي تستحق، فلا يغضب لكل صغيرة وكبيرة، حتى يكون غضبه مؤثرا، ولهذا يقال: (اتقوا شر الحليم إذا غضب)..

فالإنسان المؤمن الذي لا يرى غاضبا في السنة إلا مرتين أو ثلاث، ولا يكون غضبه إلا لله تعالى، وذلك عندما يرى حراما، فيغضب مثلا للغيبة وللنميمة وللإسراف والتبذير.. فهذا عندما يغضب، فإن الأسرة تنتبه لما أثار هذا الغضب، وترتدع عن فعله ثانية..

أما الذي يغضب لنقص ملح في الطعام، أو الذي يغضب لصراخ الصبي، فإنه إذ غضب أيضا لارتكاب المنكر- كشرب الخمر- فإن الطرف الآخر لا يتأثر ولا يكترث له، لأنه تعود عليه بأنه إنسان غضوب.

فعليه، لابد من إعطاء الشيء حقه من هذه الناحية، وإن المؤمن- كما قلنا- لا يغضب إلا إذا كان يرى غضب الله تعالى لذلك الموقف.